الحنـان السِّـرِّي

أقاصيص

خالـد السروجـى

الإهـــداء

إلى بكارة الأشياء الأولى... لعلى أستعيد نفسى

إلى اخضرارى لعل تصحره يتوقف... وأعود لى

خالد السـروجى

صرخات

عندما قرر أن يصعد على الصليب، كان قد مضى على اكتئابه وانعزاله أشهر طويلة..... كان الجميع قد اعتاد ذلك، ولكن أكثرهم حزنًا كان شقيقه رامى الحجارة الصغير، فلقد كان رغم فارق السن بينهما تربطهما مشاعر وأحاسيس كالتى تربط التوأم، خيوط خفية رهيفة تربط القلب والروح. وفى انعزاله لم يستطع أحد أن يخترق حجب صمته الكثيفة سوى شقيقه الرامى الصغير.

فى صباح ذلك اليوم، تبادلا حديثًا قصيرًا، ثم تعانقا بشكل فجائى.. ثم خرج الرامى الصغير ليملأ جيوبه بالحجارة، بينما عكف هو على صناعة صليبه، جاعلاً من الخشبة الأفقية على قدر طول ذراعيه المفرودتين، ثم ثبت على طرفيها قطعتين صغيرتين من الحبال لربط معصم اليد.

أما الخشبة الرأسية فقد جعلها تصل بالكاد إلى منتصف ظهره حتى لا تعوق قدرته على الحركة، ثم كسى خشب الصليب بأوراق الجرائد العربية.

وعندما أتم صناعة صليبه، خطر بباله أنه أول من يصعد على الصليب بإرادته، بينما تواردت على ذهنه ومضات عن العشرات ممن صلبوا.

فى صباح اليوم التالى، طلب من شقيقه الرامى الصغير أن يربط معصميه على خشبة الصليب الأفقية، فأطاعه الصغير بوجه حزين وقلب يعتصره الألم، قال للصغير وداعًا. وشعر عند استقراره على الصليب وكأنه قد ولد عليه.

عندما خرج إلى الطريق، نظر إليه من يعرفونه بدهشة وانزعاج، وحاول البعض استفهامه عن ذلك الوضع، ولكنه لم يكن يجيب، كان قد قرر المضى فى المدينة العتيقة جوالاً مصلوبًا. قرر أن يفعل ذلك إلى الأبد، وألا يعود إلى البيت.

كان يمشى فى الشوارع غير عابئ بالدبابات والعسكر، وكثيرًا ما كان يمر بالاشتباكات بلا مبالاة وعندما كان توجه إليه الطلقات لم تكن تخترق جسده بل كانت الطلقات ترتد نحو من يصوبها.

فى بعض الأحيان كان يشاهد شقيقه الرامى الصغير وهو يرمى بحجارته فيتبادلان النظرات والابتسامات الحزينة ثم يواصل تجواله بلا نهاية حاملاً صليبه.

*

روح الملاك

ملاك جاء..

ضمنا بجناحيه.. أطلق فيوضات حنانه.. أنهل منه؛ ولكن لا أرتوى.. هل يشبع صبح من نوره ؟!.. هل يشبع ليل من قمره أو طفل من أمه؟!. جاء الأسود..

سهم مسموم.. ضرب جسد الملاك.. استوطن الجسد وانتشر بخبث استعمارى.. وبروح سوداء راح يستعذب وجع الملاك..

شفافة كانت روح الملاك؛ رغم عواء الألم..

هزم الروح الأسود جسد الملاك؛ ولم يهزم روحه.. اغتاظ الروح الأسود من انتصار روح الملاك؛ واغتظت أنا المتفرج لا أملك حيلة..

همد الجسد المنهك.. انطلقت روحه.. خلعت طوق الألم.

طارت روح الملاك.. بعيدًا.. بعيدًا.. لتلتقى بالنور الأزلى.. تركتنى لا يؤنسنى العالم بضجيجه.

*

روح الغربة

فى الصحف صراعات تنز دماء، وحروب تلد القتلى..

فى الأذن كلام عمن مات، وعمن خان..

فى العين موات الوجوه، وتخثر الابتسامات..

فى القلب الوحشة..

والناس من حولى جزر تتنائى فى بحر ممطوط..

روحى حزينة..

ترتد إلى الداخل.. تغوص بحثًا عن شىء لا أدريه، أو تهرب من وجه العالم.. تغوص بلا قرار.. تدخلَ سراديب الوحشة.. تدخل المتاهة.. تهيم فى ظلمة المتاعب.. تتلظى فى نار من صنع العالم، أو صنعى، لا أدرى!.. تنفصل عنى إلا من خيط واهن لازال يربطنا.. أشعر بها تتلمس طوقًا لنجاة، أو تبحث عن قشة.. رغم ذلك تواصل الارتداد، بلا نهاية..

روحى غريبة..

تطالعنى الوجوه، فلا أعرفها ولا تعرفنى..

يسألنى وجه: لماذا عيونك حزينة؟!

أجيب: ربما كانت روحى حزينة.

يسألنى الوجه: ولماذا روحك حزينة؟!

أبحث عن كلمات.. تتهشم كلماتى تحت لسانى.. ترتطم الحروف فى حلقى.. تسقط فى بئر بلا قرار.. تدخل المتاهة.. وأرتدى قناع الصمت.

*

عيـون

الزحام خانق، والأيدى ترتطم فى محاولة الإمساك بشىء يحفظ التوازن.. تتمايل الرؤوس مع حركة الترام، أهتز ولكن شيئًا ثابتًا يشدنى إلى أحد المقاعد.. عيون.. تظهر وتختفى بسرعة ولمعان البرق.. نظرات سريعة ولكنها نافذة متغلغلة إلى الأعماق مع اهتزازات الركاب وتمايلهم أترصد الفرجة التى تظهر منها العيون، وينطلق من خلالها.. ذلك الشعاع الموجه.. وبيقين عجيب يداخلنى أنها ليست بالعيون الغريبة حينما اتسعت الفرجة التى تطل منها، أحسست أن ماضيًا يطل من ورائها، وشيئًا فشيئًا بدأ إحساس ينمو بداخلى، فلم تطاوعنى نفسى على تصديق الخاطر الذى ومض فى رأسى، ولكننى أحببت أن أستسلم للخاطر..... عيون عائشة فقط هى التى لها مثل هذا الحور، وتلك السهام هى رموشها.. الأميرة شوشو كما كنا نسميها فى ذلك الماضى البعيد والجميل. هل تسعفنى فرجة أخرى بين الزحام لأرى جيدها.. كم أشتاق إلى الكبرياء الذى كانت تشى به التفاتة نحرها.. ونظراتها الناعسة

عندما تعد بالتنازل لرؤيتك. عاودني الحنين لرؤية خطواتها الحانية على أديم الأرض تمسه مسًا، وتعزف عليه مشيتها الواثقة.

اتسعت فرجة بين الزحام.. يكاد الجبين يؤكد الظنون.. اعتصرنى هم وأحسست بشيء ثقيل يشدنى لأسفل.. نفس الشفتين اللتين قالتا لى يومًا:.

ـ لما أطلب منك الصفح ولكننى أطلب منك الفهم.

الصفح ؟.. من الذى يطلب الصفح؟.. بحثت عنك في كل الدنيا لأجثو عند قدميك وأطلب الصفح.. بعد وفاة والدك كنت سأتقدم إليك لأعتذر، ولكن حضور عمك المفاجئ وسفره بك لم يدع لى مجالاً لذلك.

قالت لى فاطمة يومًا وكأنها تحاول أن تقتص لك:

ـ تزوجت ابن عمها الدميم.. لم يشعرها إلا بالثقة الكاملة، ولم تشعره يومًا بالنفور.

تأتى انفراجة أخرى فأحاول التركيز ولكن الانفراجة لا تلبث أن تنتهى.. يرن صوتها فى أذنى:

ـ لم أطلب منك الصفح.. نظرتك إلى الشرف تحتاج إلى مراجعة.

لم تغفر لى اهتزاز الثقة وارتفع بيننا حائط من الشك.

ـ لست سهلة المنال.. ولكنى عندما أعطى فباسم الحب فقط.

لم أفهم الحب كما كنت تفهمينه.

اتسعت فرجة كبيرة لنزول بعض الركاب، فخفق قلبى بشدة... أحسست بكيانى يتزلزل.. إنها عائشة فى ثياب سوداء.. هل هو زوجها؟؟.. لقد كانت ترانى. رأت الشعر الأبيض الذى توج رأسى بكاملها.. التقت نظراتنا، كانت نظراتها كأنها تقول: .

ـ تصنعون الشروط للحب... وباسمه تريدون امتلاك كل شىء.

أشاحت بوجهها عنى عندما رأتنى أتقدم بعد أن خف الزحام.. خبت ابتسامتى أمام قناع التجاهل... بانت على وجهها آثار الزمان.. ثبت نظرى عليها أتوسل الالتقاء بنظرأتها.....

*

لعبة الكرسى

كنا مجموعة أطفال وقفنا مشدوهين أمام الكرسى، كان بريق حوافه الذهبية يكسبه هالة من الجلال، فتملكتنا جميعًا رغبة فى اعتلائه.

كان أول من أفصح عن هذه الرغبة «محمود» الطيب الودود الذى نحبه جميعًا فاتفقنا أن نعتلى الكرسى بالتبادل وليكن هو أولنا، وأسعدنى أن أحنى ظهرى - باعتبارى أطولهم - لمحمود ليضع عليه أقدامه ويصعد إلى ظهر الكرسى العالى، ولكنه بمجرد صعوده ابتسم لهم جميعًا ونظر ناحيتى بغضب واتهمنى بأننى كنت أريد إيقاعه من على ظهرى وهو يصعد للكرسى، ولا أدرى لماذا جبنت عن الدفاع عن نفسى، ولا لماذا أستجبت صاغرًا لأمره عندما أمرنى أن أذهب بعيدًا إلى ركن الغرفة.

طال الوقت وبدا لنا أن محمود لن ينزل من على الكرسى ولن يعطى الدور لـ «على» كما اتفقنا، وكان «على» غاضبًا جدًا؛ لأن محمود يريد أن يجلس وحده ولا يريد أن يعطينا أدوارنا، واتفقنا

على أن نجذبه من قدميه ونوقعه على الأرض ثم يصعد «على» لأنه صاحب الدور، وعندما بدأنا نشد «محمود» قاومنا بعنف وهو يصرخ ولكننا استطعنا إيقاعه على الأرض، واشتبكنا فى عراك انتهى بهزيمته.

أحنيت ظهرى لـ «على» ليصعد على الكرسى وعندما اعتدل فى جلسته، نظر إلى فى ريبة وأمرنى أن أذهب بعيدًا عن الكرسى، كان منظره يكتسب رهبة لم تكن موجودة قبل صعوده على الكرسى ولكنه عندما اتهمنى بأننى غادر وأريد إيقاعه من على الكرسى مثلما فعلت مع «محمود»... وجدت نفسى أبكى بمرارة.

*

الحنان السرى

لا أعرف منذ متى بالضبط بدأت أراقبها. ولكنها سنوات طويلة لم أمل فيها مراقبتها. شباكها فى المنزل المقابل القريب جدًا لضيق شارعنا، يهبط قليلاً عن مستوى شباك غرفتى، بشكل يجعلها مكشوفة بكاملها أمام عينى لحد الإحساس بالمعايشة لشدة القرب ووضوح الرؤية.

سنوات طويلة مضت منذ غادرت شقيقاتها البنات المنزل الواحدة إثر الأخرى، وغادر الأب الحياة بعد فترة قصيرة من مغادرة آخر بنت.

فى المساء تغلق باب غرفتها بالمفتاح ثم تفتح إحدى ضلف دولابها المغلق أيضًا بالمفتاح. تتحاشى بإصرار غريب النظر فى المرآة. وتبدأ نشاطها اليومى، أولاً بإفراغ محتويات الكيس البلاستيكى الكبير، ثم بفتح العلبة المعدنية الصدأة، وتبدأ عملها وقد اكتسى وجهها بحنان غريب: ملابس صغيرة جدًا، تنهمك فى تطريزها.

أبتسم دائمًا وأنا أستمع إلى طرقات أمها العنيفة على باب غرفتها، ثم أتوقع سلوكها المزمن فى هذه الحالة: الارتباك، واحمرار الوجه، ثم الإسراع بإعادة المحتويات إلى الكيس والعلبة، ووضعها بعجلة فى الدولاب وغلقه بالمفتاح، ثم فتح الباب والشكوى المتكررة من ثقل السمع. ثم أراقبها بذات الابتسامة عندما تغلق الباب بالمفتاح ثانية، وأتوقع ما سيحدث: فتح ضلفة الدولاب المغلقة، وإخراج الكيس ثم العلبة، وتحول ملامح الوجه إلى الحنان السرى.

سنوات أراقب بشغف هذا السيناريو الذى قد يبدو أحيانًا مملاً.

يوم واحد فقط كان مختلفًا فى حياتها وحياة المنزل، الذى أضيئت فيه أنوار الغرف كلها تقريبًا، وكان وجهها مضحكًا للغاية تحت تأثير كم المساحيق المبالغ فيه، والذى جعلها أقرب ما تكون لـ «بلياتشو». وجاء ضيوف لم يلبثوا أكثر من دقائق، ثم انشغلت عن مراقبتها بهموم أخرى.

ولكننى عندما عاودت مراقبتها، كانت تتأكد من أن باب الغرفة محكم الغلق.

*

بنت عم حامد

مسكينة ليلى بنت عم حامد، يأتينى صوتها فى المساء تصرخ من ضرب الوحش حامد. حامد بواب العمارة المقابلة ليس وحشًا، أعنى أنه ضئيل الجسم جدًا، بل ويذكرنى منظره بفأر مذعور دائمًا. ولكنه يتوحش فى المساء عندما يضرب ليلى. أستطيع بسهولة أن أستنتج أن زوجة حامد وراء طقوس الليل الوحشية، التى لا ينافس انتظامه فيها سوى فرض العشاء.

أتعاطف مع ليلى دائمًا وأهش فى وجهها إذا ما ظهرت فى شباك بدرومها الواطئ جدًا بحيث يلامس أرض الشارع، وأحرض أختى على التنازل لها عن بعض ملابسها القديمة نوعًا، والترفق فى معاملتها. ضئيلة جدًا مثل حامد هذه البنت، تجافيها أمارات الأنوثة، وتكسو وجهها ذلة ومسكنة تشعرنى بالرثاء.

ولكن دهشة غاضبة تتقمصنى عندما تخبرنى أختى بما يدور. عجبًا! أنا أحب ليلى؟ بل وألقى إليها خطابًا غراميًا أثناء مرورى

بحذاء شباكها!! والأكثر من ذلك أن إحداهن قد اطلعت على نص الخطاب. وبالقطع لم أسأل أختى كيف تأتىَّ لها العلم بالأمور، فأنا أعلم بوجود شبكة معلوماتية تضم بنات الشارع وتسعى إلى تحقيق مبدأ اشتراكية المعلومات بدءًا من الأخبار وانتهاءً بالأسرار.

ولكنى عندما راحت الدهشة وتلاشى غضبى الهش. بدأت أستمتع بما ترويه أختى حول هذا الموضوع بل وأحثها على تصيد آخر الأخبار، وإن كنت قد امتنعت عن أن أهش فى وجه ليلى، وأتحاشى الوقوف فى البلكونة خشية تأويل الأمر، ولكن أجدنى أشارك فى الحكاية - كمتلق - باستمتاع وفضول شديدين، وأختى تواصل تزويدى بآخر الأخبار. علاقتى مع ليلى التى غاصت فى الحب بكامل جوارحها كما لاحظت البنات من سرحانها الدائم وحالتها الحالمة وهى تردد بعض عبارات الغرام التى أبثها فى خطاباتى، وشعور الظفر الذى يحتويها حينما تخبر بعضهن بعزمى على أن أتزوجها فور تخرجى من الجامعة رغبة منى فى إنقاذها من براثن عم حامد ودسائس زوجته.

مرة واحدة فقط هى التى خالفت فيها الحظر الذى فرضته على نفسى بالوقوف فى البلكونة، وكانت ليلى فى شباكها الواطئ وقد بدأت رادارات شديدة الحساسية تتقاطر على البلكونات المنتشرة على طول الشارع وكنت على وشك الانسحاب عندما لمحت بطرف عينى البنت ليلى تنظر نحوى وهى ترد على ابتسامات وإيحاءات لأفعال وحركات لم أقم بها أصلاً، وهو ما جعل الرغبة فى الضحك

تتفجر بداخلى ولكن الرغبة قتلت فى داخلى قبل أن تظهر فى تجليها الأخير، بفعل شعورى بحصار الرّادارات شديدة الحساسية وهو ما جعلنى أعجل بانسحابى المحسوب بحيث لا يثير الريبة.

ولكن اللعبة وصلت إلى قمة إثارتها، بحيث تحتم إيقافها بشكل حاسم، بعد أن أخبرتنى أختى بأن الساعة السادسة بالضبط، وهو ميعاد أول مقابلة مع البنت ليلى، وكان محتمًا أن تنتهى المسألة بشكل أقرب إلى العلنية، وهو ما جعلنى أقف فى البكلونة بملابس البيت ابتداءً من الخامسة والنصف..... ومع اقتراب الساعة السادسة بدأت الرادارات تتقاطر على البلكونات، ثم ظهرت البنت ليلى فى شباكها الواطئ وقد تزينت ولبست أفضل ثيابها وارتسمت على وجهها ابتسامة مرحة، ثم بدأت ألاحظ ازدياد توترها مع اقتراب السادسة التى ما إن حلت حتى لمحتها تنظر نحوى بقلق شديد، تحول فى لحظات قليلة إلى تجهم، ثم نظرات منكسرة تطوف على رادارات البلكونات، ثم اختفت فجأة من الشباك الواطئ مما جعلنى أزفر بارتياح.

كنت أستعد، بينما الرادارات المنتشرة تستعد هى الأخرى لمغادرة البلكونات عندما لمحتها تعدو فى الشارع كأنها تريد اللحاق بموعد ما، وكانت سعيدة ومنطلقة.

*

بنت الجيران

جميلة بنت الجيران الجدد. جميلة وميتة. على وجهها تعبير واحد لا يتغير يجعلها تبدو كتمثال شمعى أو جثة امرأة محنطة. ومغرورة جدًا، لا تبدى أى اهتمام لمحاولاتى للفت نظرها، ربما كنت سأنصرف عنها ولكن تجاهلها أثار فى نفسى جذوة التحدى والتصميم...

عندما أستيقظ من قيلولة الظهر أجدها دائمًا جالسة فى البلكونة، لا أراها غير هذا التوقيت. جالسة على مقعدها الأثير مصوبة ناحيتى «بروفيلها» الرائع ومصرة أبدًا على تجاهلى، رغم تحركاتى الكثيرة والمبالغ فيها فى البلكونة لكى تلتفت... وأعترف أيضًا بأننى لا فضل لى فى الابتسامة التى فزت بها، فقد كان الفضل كله لأختها التى همست فى أذنها طويلاً قبل أن تنتظر فتأتى نحوى بابتسامة جعلتنى أقفز منتشيًا.

جميلة ونابضة بالحيوية، بنت الجيران الجدد، ذاب الشمع من على وجهها. عندما أستيقظ من قيلولة الظهر، أجدها فى مكانها

الأثير، فيها كل يوم جديد.. هل هو الحب؟! ولكنها مازالت مغرورة.. لا تمنحنى ابتسامتها اليومية إلا برجاء وإلحاح من أختها فتأتى الابتسامة كأنها متفضلة.

بروح مغامرة قررت أن أقوم بعمل جرىء. وكانت الفرصة متاحة بخلو بلكونات الجيران وعدم وجود أختها. على الرغم من أن صفيرى سيئ للغاية، فإنه بلا شك سيطرق سمعها ويحقق الغرض منه وليحدث بعد ذلك ما يحدث.. كثفت شجاعتى لتتجمع فى فمى ولكن الصفير توقف على لسانى فجأة وقد انتبهت إلى أنها تحملق فى قرص الشمس المتوهج من فترة طويلة.

*

اشتهاء

يحتوينى ذلك الحضور الأنثوى الطاغى، ويستعصى على الإفلات من مجاله الجاذبى. أنوثة لا يحد من طغيانها سوى ذلك النائم على ركبتيها، تهدهده بينما هى شاردة عبر نافذة الترام. أختلس إليها النظرات متأملاً ملامحها الأنثوية المثيرة والرقيقة معًا، ثم أهرب بنظراتى حينما تنتزع نفسها من نافذة الترام إثر حراك الصغير، محاولة إعادة السكينة التى فارقته. وللحظات يستحوذ على انتباهى، يفرك بقدميه ثم يتقمصه عفريت لتشارك الأيدى مع الأقدام فى معركة وهمية يضرب فيها خبط عشواء بين الهواء وجسدها فيطيح بزر قميصها الأعلى فيكشف عن ثدى بلون الحليب، يشعل جذوة اشتهائى.

يكتسى وجهها بلون الدم، وهى تنحنى لالتقاط الزر المخلوع، بينما عينى تخترق هذا الجزء المكشوف والذى سرعان ما تمتد يدها لتغلقه بضم قميصها من أعلى، أتأجج أنا فتبدأ مباراة فى غاية الإثارة بين محاولاتى المتلصصة لاقتناص نظرة، وتصميمها

الحديدى على ألا تسمح بها، فتضم بإحكام طرفى قميصها من أعلى بيد بينما اليد الأخرى تمسك بالصغير، وتنشغل هى باللعبة الدائرة بيننا، بينما الصغير يواصل الحراك على حجرها، فيتزحزح قليلاً قليلاً، حتى يقترب من حافة ركبتيها، فتمتد يدها بسرعة عجيبة لتعيده إلى مكانه، ثم بذات السرعة تعود لتمسك بطرفى قميصها، وأكون أنا قد اقتنصت نظرة بينما يصطبغ وجهها الحليبى بلون الدم.

أغوص مستمتعًا إلى أقصى حد فى حرارة اللعبة، ويتوهج اشتهائى أكثر فأكثر مع كل نظرة أقتنصها من ثديها الرائع فينطلق خيالى ليستكمل صورته، ثم يتخذ ذلك منطلقًا لما أبعد..

ولكنه فجأة يطلق عقيرته ببكاء حاد متواصل، ليحيل جو اللعبة إلى توتر أخذ يزداد مع تدفق صراخه بينما هى تحاول تهدئته بأرجحة ركبتيها، ولكن اللعين لا يستجيب ويستمر فى بكاء متصل لا تغنى معه الهدهدة ولا صوتها الرقيق يناجيه، فتخرج ثديها بتلقائية وبساطة لتضعه برفق فى فمه الصغير بينما تنطفئ جذوة اشتهائى بشكل فجائى وحاد.

*

الكـلاب

فى شـارعنا شـبـه المعتم، كـلاب الشـارع تبـدأ أولاً فى النبـاح ثم تأبى إلا أن تطاردنى بنبـاحـهـا وتحـرشـهـا حـتى باب البـيت بينمـا أتصبب عـرقًا، أكره عـودة الليل بسبب هذه الكلاب اللعينة. يقـولون إن الكلاب تسـتدل بغـريزتهـا على الشـخص الخـائف فـتطارده... ولكننى الآن رابط الجـأش بشكل غـريب بل سـيـان عندى أن تكون كلاب أو حتى ذئاب. لماذا أخشاها وأنا أعـرف أنها لن تلتهمنى بأى حال، ولم يحدث أن عقرنى كلب طيلة رحلاتى الليلية اليومية.

هـأنا أدخل شارعنا المعتم، الكلاب تتمركز فى المنتصف تمامًا، لا يهم، أحدهم لا يخجل من مواقعة أنثاه فى وسط الشارع، فى العتمة تكتسب الكلاب الهيبة التى تنحسر عنها طوال النهار.

كيف أفكر فى أشياء بهذه التفاهة دون أن أخجل من نفسى؟!! أشـيـاء كـثـيـرة غـيـر الكلاب جـديرة بأن أفكر فـيـهـا، بل هناك مـا يؤرقنى، مـدير الفـرقـة يأكل عـرقنـا ولم يجـرؤ أحـد منا علـى التمـرد عليـه، وتفـجيـر الموضـوع دائمًا مؤجل، عنـدمـا يفـيض الكيل أقـرر أن

أواجه بثورة عارمة، تهدأ شيئًا فشيئًا إلى قناعة بالتريث حتى وقت مناسب لا يجىء أبدًا.

وهأنا أقترب من الكلاب ومازلت رابط الجأش.

الكلاب تنبح.. شىء عادى ومتوقع.

..... لماذا تطاردنى الكلاب؟!!

*

قطـة

يأتينى طرقـهـا على البـاب، بينمـا أنا غـارق فى الدفء تحت الأغطية السميكة، فأتجاهل الطرقات وأغمض عينى استمتاعًا بالدفء، لكن طرقها يزداد حدة، فألعنها فى سرى على تلك الضجة التى تحدثها، وأقرر أن أعاقبها فى الصباح بحرمانها من اللبن، ثم يشترك صوتها مع الطرقات فيما يشبه التصميم على الدخول، فأتعجب من تلك الرغبة المفاجئة فى المبيت بالداخل على الرغم من جريان العادة على مبيتها خارج الشقة، ثم إننى لست على استعداد فى هذا اليوم القارص البرودة لمغادرة الفراش الدافئ من أجل نزوة أصابتها للمبيت بالشقة.

ولكن يرتفع صوتها إلى ما يشبه عويل امرأة، فيزداد حنقى عليها، وأحاول تجاهل صراخها، لكن الصراخ يزداد حدة وارتفاعًا، كأنه بكاء امرأة، يكاد يمزق القلوب. لكن ذلك لا يجعلنى أفهم سر إصرارها على الدخول وقد اعتادت المبيت خارج الشقة فى أجواء أشد برودة من الليلة، ويزداد إلحاحها بصراخ حاد طويل المقاطع،

فأحاول - رغبة فى عدم انتزاع نفسى من الدفء - إقناع نفسى بأننى لست قاسيًا، وإنما هى رغبة مجنونة للقطة ليس لها مبرر.. ولكننى فجأة أتذكر شيئًا يجعلنى أنتفض مذعورًا، فأقوم مسرعًا لأفتح باب الشقة، فتدخل متثاقلة تتساقط منها قطرات الدم، بينما تحمل وليدها بين أسنانها.

*

كرسى

- «انزل ياولد».

كان أبى يقولها بعصبية، ثم يمسح بيديه على صلعته الوقورة، فأنزل مرتعبًا من على الكرسى الموضوع فى البلكونة. ثم أسمع صوتًا هادرًا ينادى أمى، ويأمرها بإخراج الكرسى من البلكونة، فتخرجه فى صمت، وأحزن أنا لفقدانى إطلالتى على الحياة خارج شقتنا، وحديثى مع صاحبى الساكن فى البلكونة الأولى فى المنزل المقابل. وأقرر لحظة غضب بأننى عندما أكبر وأنجب أطفالاً، لن أمنعهم من الوقوف على كرسى البلكونة، ليطلوا على الشارع ويكلموا أصحابهم، وعندما كان يعود الكرسى مرة أخرى إثر محاولات أمى لاحتياجها للكرسى فى عملية نشر الغسيل، مع تعهدها لأبى بمنعى من الوصول إليه، أراقب نظرات القلق فى عينيه وهو يراقبنى أحوم حول البلكونة. أتضايق وأشكو لأمى الحظر الصارم الذى يفرضه أبى على اقترابى من الكرسى، فتجيبنى بأن

أبى خائف على، فأقرر بأنى عندما أكبر لن أخاف على أولادى هكذا.

ولكننى لم أكن أتوقف عن محاولاتى لاعتلاء كرسى البلكونة، بينما أنتظر أول غفلة لأبى أو أمى.

- «انزل يا ولد».

قلتها هادرًا، ثم مسحت على صلعتى الوقورة، بينما أفكر فيما عساه يدور برأسه الصغير!!

*

الحبـل

عندما لاحظت أنها تحرك يديها كثيرًا أثناء الحديث، لتمثل بها الانفعالات والمواقف، نبهتها برفق إلى أن العادة تلك سخيفة وغير متحضرة، ومنتقضة على المستوى الاجتماعى الراقى، وأنها يمكنها أن تستغنى عن كثرة الإشارات اليدوية بالتعبيرات اللفظية.

ومن ناحيتها فقط أبدت تفهمًا واقتناعًا . وإن كان ببعض الضيق . بكلامى، وشرعت ألاحظ باهتمام معاناتها للسيطرة على حركة يديها أثناء الحديث وأنا موقن أنها فى النهاية ستتخلص منها . وأصبحت نظراتى المراقبة للأيدى المضطربة خير وسيلة لمنعها من سلوكها السابق.

ولكننى بدأت ألاحظ ترقبها لحركات يدى، مما جعلنى حذرا جدًا فى حضورها، حتى لا أقع فيما نبهتها إليه، وإلى جانب ذلك فقد اضطررت معها إلى الامتناع عن عادات حميمة كقضم الأظافر، وطرقعة الأصابع. وكنت أبذل مجهودًا خارقًا للسيطرة على رغبتى المتنامية أثناء حضورها، فأتوق إلى القضم والطرقعة،

ثم ضاعف من حدة ضيقى اضطرارى إلى التخلى عن عاداتى الحميمة تحت ضغط عينيها المترقبتين.

والغريب أننى بمرور الوقت بدأت أضيق بجهودى معها، فلم تعد مواعيدها تحمل إلى نفسى بهجتها السابقة، وأضبح الوقت يمر بيننا بين القلق والتململ.

وتحت وطأة النظرات المتحفزة، والرغبات المكبوتة، أصبحنا نجد نوعًا من الراحة فى الابتعاد.

*

فكرة شريرة

لا أعرف كيف جاءتنى هذه الفكرة الشريرة، ولكننى عندما دلفت إلى السيارة الأجرة بوقار شديد، وأمرت السائق - على غير عادتى - بتشغيل العداد، ولمحت فى عينيه نوعًا من الخوف، وعلى وجهه أمارات القلق. عندئذ لمعت فى ذهنى الفكرة الشريرة، ووجدتنى ألمح فى حديثى - زورًا وبهتانًا - بأننى ضابط، مع تعمد أن يبدو حديثى وتلميحاتى عفوية وتلقائية. ومع استمرار الحديث الضرورى لطول المسافة من سيدى جابر إلى العجمى، أصبح وجه السائق الذى يتسم بالجهامة والغلظة يلين لى فى تودد واضح وترتسم على وجهه من حين لآخر ابتسامة متزلفة، أو ضحكات مفتعلة على نكات تعمدت أن تكون سخيفة.

واستمتعت للغاية بوضوح معكوس ونادر بالنسبة لأحاديثى مع سائقى الأجرة، عند الكلام فى الموضوع المفضل: الأوضاع الرديئة فى البلاد. وفى العادة عندئذٍ يخرج مخزون من الشتائم التى تنال من الحكومة، والتى لا تنتهى إلا بنزولى من السيارة، فوجئت

بسائقى ينفعل مدافعًا عن الحكومة، فماذا تفعل الحكومة وحدها!.
الناس لا يريدون أن يفعلوا شيئًا لحل المشاكل، ويلقون بكل اللوم على الحكومة.

ولكننى اقتربت من مكان نزولى بالعجمى، فألقيت نظرة سريعة على العداد الذى أشار إلى أننى مدين بما يجاوز السبعة جنيهات لهذا السائق، ولكننى انسياقًا لفكرة شريرة أخرى، أخرجت من جيبى ثلاثة جنيهات... وكأن يدًا فولاذية تعتصر قلبى عندما قبلها شاكرًا مبتسمًا.

*

الخط الأحمر

تصطدم عينى بالخط الأحمر، تقف الرهبة على أعتابه تمنع تجاوزه، فتستفزنى فكرة وجود شاطئ خاص محظور على ارتياده، وأتأمل العالم المكشوف من خلفه، فتخطف بصرى بوجهها الملائكى وبشرتها الحليبية.

أبتسم ثم تتلاشى ابتسامتى بسرعة عندما أتذكر ملابسى السيئة نوعًا، وأحول وجهى عنها خجلاً بينما من حين لآخر أختلس إليها نظرة، يظللها الشعور بالإثم، ويزداد خجلى عندما ألمحها تنظر من خلف الأسلاك ناحية مجموعتنا فلا يبدو عليها أنها ترانا.

ولكنها لحظات كنا قد تجردنا فيها من ملابسنا، وخلت الرمال إلى من العجائز، يضمنا البحر الوسيع بلا نهائيته. شبه عرايا نلهو ونلعب، وأراها تسبح فى الماء، فأجد فى نفسى الجرأة لكى أبتسم، ولدهشتى أجدها ترد الابتسامة.

*

تواصل

يجتاحنى تيار التصخر فأحزن، وألحظه وقد تجلّى على الناس فى الشوارع فأتعزى قليلاً، ولكنّ حزنى لا ينطفئ ويتوهج كلما شعرت بوطأة ثقل الصخر يتراكم فيغشى أخضرى. عاد طوفانه وهو يجتاح الجميع فيغير من طبيعة الأشياء.. تفقد الضحكة بهجتها، والبسمة روعتها، وتتقطع الخيوط، فأحاول الهروب إليه:

«حمادة ابن أختى» أخضرانى كله، تمنعنى مشاغلى عن مجالسته، فلا أراه إلا عابرًا. ويدهشنى أن اسم تدليلى يستعصى عليه رغم بساطته، ورغم أنه قد نطق أسماء جميع من فى البيت فأستحثه:

ـ قول خالو «لودى»

لم أر تعابير وجهى، ولكننى استطعت أن ألمح جهامتها فى وجهه الفزع الباكى، فألجأ إلى الصمت مكتئبًا لإفزاعه، ويحيرنى التساؤل: ما ذنبه وقد امتد العجز إلى قدرتى على المداعبة!.

أتأمله وأمه تحمله على صدرها محاولة إيقاف البكاء، وشعور بالذنب يحتوينى. ويستمر بكاؤه فيتحرك شىء فى داخلى، أكاد أشعر به يتدفق من صدر خلته يابسًا، فأقوم مدفوعًا بقوة قاهرة أحتضنه وأقبله فأشعر بتدفق حنانى غريب، ورفاهة نادرة تجتاحنى وشفتى تتحسس بشرة خده الملساء. شىء ما يدغدغ مشاعرى، فتتصدع صخورى، وأتبينه فى غمرة انفعالى يهدهد طبلة أذنى بإيقاع رهيف:

- لووودى

*

جـرح

تتشـابك أيدينـا ونحن نتـقـافـز على الرصـيف سـعداء، وانتـهـاء الامتحـان يبعـث فينا شعورًا طاغيًا بالخفـة والمرح والجـرأة أيضًـا، وينتـزع مـرحنا ابتـسـامـات المارة، فنتـمـادى فى المرح والمعـاكسـات اللطيفة التى تقابل بالترحاب. نتقافز ونتقافز، والأيدى متشابكة، صغارًا كنا.

الضجـة الشديدة هى التى لفتت نظرى إليه، الرجل القصيـر جدًا، وفى يده بنت صغيرة من سننا لا شك أنها ابنته، يثير ضجـة شديدة، يشخط وينطر، ثم يعود يبتسم ويضحك، أشـير إلى رفيقى ناحية الرجل القصير جدًا بابتسامة، انقلبت إلى ضحك متواصل منا. البنت التى من سننا أطول من أبيها، نتغامز ونضحك ونحن نقترب منهما، ويتناهى إلى سـمعنا تهديده بالضـرب إذا لم نسـمع الكلام، فتـبـدأ موجة ضحك جديدة لتشككنا فى إمكانية تنفيذ تهديده.

كنا مازلنا متشابكى الأيدى، عندما فوجئنا به أمامنا مباشرة، نكاد نصطدم به وابنته فى معدلنا السريع فى التقافز، لا شك أننا

تخاطرنا لأننا فكرنا فى نفس العمل فى وقت واحد. ففكرة فض اشتباك الأيدى لم تجل بفكر أحدنا، ولكننا رفعنا أيدينا المتشابكة على شكل قوس يمر من فوق رأس الرجل الصغير جدًا وابنته، ثم نتبادل النظرات ونحن سعداء. ولكن الصمت الذى حدث وراءنا فجأة أثارنى، ودفعنى أن أنظر خلفى. كانت نظرات البنت التى من سننا زائغة ترتمى بحزن على الأرض، بينما كان الرجل يواجهنى بوجه شاحب ونظرات منكسرة.

*

ياسمين

فى يوم السفر، رافقناهم إلى المطار لنودعهم قبل انطلاقهم إلى بلاد الصقيع، ولم تفارق يد أبى يد حفيدته الأولى ياسمين طوال مدة انتظار الطائرة، بينما فى يدها الأخرى قطعة الأيس كريم الذى تحبه، والذى كان فى الشهور الأخيرة، ضيفًا دائمًا على منزلنا كل مساء.

سافرت ياسمين!!

هو قال بما يشبه الهمس - فى طريق عودتنا - بأنه لا يصدق ذلك.

ياسمين بنت أختى، هى أهم فرد فى العائلة عند أبى، ولا تعادلها العائلة مجتمعة حبًا ومكانة لذلك لم أستغرب أن أراه فى المطار عصبيًا بشكل لم أعهده فيه، ولم أغضب عندما نهرنى بلا أى سبب معقول بل إننى كنت أبذل مجهودًا خرافيًا لأدارى اضطراب مشاعرى لكى أساعده على التماسك، ولكنهم بمجرد أن أداروا ظهورهم، لمحت لأول مرة فى حياتى دموع أبى، فانهار تماسكى الهش.

وفى المساء، كنت أتسلى بمشاهدة التليفزيون عندما أدار مفتاح الشقة، ولمحت فى يده علبة الأيس كريم بينما عيناه زائغتان تبحثان فى أرجاء الشقة.

*

الفنـانة

جميلة ياسمين بنت أختى، حساسة جدًا، وعقلها يسبق سنينها التسع، تعشق الرسم والألوان والعرائس، ولكنها قليلة الكلام جدًا بالنسبة لطفلة.. أحاول دائمًا أن أستدرجها إلى حديث طويل، فلا ترد ألا بكلمات قليلة، وكأنها تخشى نفاد ذخيرتها من الكلام.

تهرب من الحديث الطويل وتجرى إلى الفرشاة والألوان، ترسم وترسم، وتظهر السعادة على وجهها عندما أقول لها إنها فنانة.

أعشقها هذه البنت، ولكن يضايقنى جدًا أنها لاتقول لى أنها تحبنى، رغم حبى لها والعرائس الكثيرة التى أغرقتها بها... شقيقها الأصغر أحمد يقول لى دائمًا:

- «أحبك يا خالى».

ولكنها لا تقول.

فى عيد ميلادها الأخير اشتريت لها سبورة سحرية، عند الرسم عليها بقلم بلاستيكى يظهر الرسم بخطوط فسفورية مضيئة وجميلة، تمحى بسهولة عند فتح غطاء السبورة ثم غلقه.

بعدما أطفأت البنت شموع التورتة، تلقت قبلاتنا وهدايانا، ثم انزوت بعيدًا وفى يدها السبورة، وعندما اقتربت منها وأخذت أتأمل فيما ترسمه كانت ترسم قلبًا كبيرًا، وبداخله كان اسمى.

*

البـوح

ببطء شـديد.. كـان رأسـهـا المنكس أمـامـه يرتفع تدريجـيًـا.. لتواجهه بوجه حزين، ونظرات منكسرة، وقلب ينقل الهم والسـهر الدفـين.. والتـردد المضنى بين البـوح والكتـمـان.. تكاد الكلمـات أن تنطلق من فـمـهـا.. ثم تحـتـبس تحت وطأة نظراته الصـارمـة. مـاذا تقول؟!

البنت التى كـرَّس عمـره من أجلها ضـاعت فى غـيـبتـه.. السـر الرابض فى أحشـائها يكبر يومًا فـيومًا، ويتجه للإعلان عن ذاته.. ولا مفر من الفضيحة.

أم تقول أنهـا أذنبت وقصَّرت وتستحق «أن يفعل بها مـا يشـاء.. ولكن عذرها أنهـا امـرأة لم تستطع أن تملأ فراغ غيبتـه.. لا تلومـه ولكن تلتمس عذره.

تخترقها نظراته الصـارمة الثابتة، وتغوص فيهـا، ملاحقة السـر فى طيـات صـدرها، فـتـوقن بقـدرتـه على أن يقـرأ السـر بداخلهـا

كالعادة.. فلا تجد مناصًا من البوح بالمكنون.. ينطق لسانها ببضع كلمات غير مفهومة فتسبقها الدموع ويعجز اللسان.

تستغرق فى بكاء مرير وعندما تنتهى تمسح آثار دموعها، وتلتقط أنفاسها المتهدجة.. ثم تمتد يدها برفق لتزيل ذرات الغبار المتراكمة على الإطار الزجاجى للصورة.. قبل أن تشرع فى مناجاة طويلة.

*

شــعاع

ينفرج الزحام قليلاً، فيصدمنى شعاع عجيب، مجهول الهوية فى زحمة العيون، شعرت بوقعه الكاوى عندما استقر على عينى. أرتبك، ويهتز الترام فتلتئم الأجساد، وينقطع اتصالى به.

بفضول قاهر أنتظر فرجة، وشيئًا فشيئًا ينفصل التلاحم الجسدى الهش ثانية وأعاود الاتصال. لاسع وكاوى الوقع على عينى، متحدٍ ومستفز وربما عدائى، أتحير وأرتبك ثانية، ويتبعثر داخلى. تلتئم الأجساد ثانية، وأغرق فى أحاسيس مبهمة منتظرًا انفراجة ثانية تأتى بعد فترة خلتها دهرًا.. مصوب ناحيتى بإصرار عجيب يحمل على ظهره شحنته الكاوية شديدة التركيز.. أستجمع قوة تركيزى على مصدر الإشعاع لا شىء إلا أنه يأتينى من أسفل قليلاً.. أغمض عينى أتحير ويزداد ارتباكى، أولى ظهرى مضطرًا متلهيًا بالنافذة وصورها المتحركة. تأتى صورته فجأة.. إنه تلميذى فى المدرسة، تذكرت وجهه الطفولى قد شوهه الألم من شدة الضرب، وصوته الباكى: «مظلوم يا أستاذ.. موش أنا.. موش أنا يا

أستـاذ»... ينتابنـى شـعور طاغ بالـكآبة... وأشعـر به يختـرق ظهرى لاسع وحارق كسكين حدت شفرته، فـأكبح رغبة قاهرة فـى الالتفات ورائى.

*

اكتئاب

الثالثة بعد منتصف الليل.. أحد أيام شهر ديسمبر..

السماء لا تتوقف عن إرسال المدد.. المطر يطرق على زجاج النافذة بعنف..

ضوء خاطف نفذ إلى الغرفة المظلمة أضاءها برهة.. أتت الموجة الرعدية هادرة.. خيل إليها أن السماء غاضبة عليها.. تملكها شعور طاغ بالخوف.. أشعلت سيجارة بأصابع مرتعشة، وأخذت نفسًا عميقًا..

انطلقت منها آهة تمتزج فيها الحسرة بالألم.. الوحدة تنخر عظامها.. أغمضت جفنيها و راحت تتذكر:

أيام الصالة.. الرقص.. الأضواء.. المعجبون.. أين تلك الأيام؟

لم يبق سوى الوحدة والمرض، حتى أهلها تبرءوا منها. هجرت البيت وهى ابنة ثمانية عشرة سنة، لتبحث عن المال.. أضاءت نور الحجرة ثم ذهبت إلى البار وشربت كأسًا.. لعنت فى نفسها الزمن

والوحدة والرجال.. آه من الرجال.. آه من هذه المخلوقات القذرة.. امتصوا رحيقها ثم تركوها بعد أن ذبلت.. الذين كانوا يطاردونها كالذباب، أصبحوا يتهربون منها كأنها جيفة نتنة.. أفاقت من خواطرها على دوى الرعد.. أحست برغبة مجنونة تدفعها إلى الخروج فى هذا الطقس المخيف.. بسرعة ارتدت ملابسها الثقيلة.. لم تنس مسدسها فهو رفيق وحدتها القاتلة.. نزلت الدرج ببطء.. مازال المطر يهطل.. والرعود تتوالى.. مضت فى خطوات كليلة.. أحست بالبرودة الشديدة تتسرب إلى أعماقها ولكنها مضت سائرة.. لمحت من بعيد امرأة آتية نحوها، فتعجبت كيف خرجت هذه المرأة فى هذا الطقس اللعين.. اقتربت المرأة منها.. أصابها ذهول.. إنها هى نفسها.. نفس الملامح.. نفس الملابس... صرخت فيها مذعورة: ماذا تريدين منى أيتها العاهرة؟.. لم ترد الأخرى ونظرت إليها بسخرية.. ظلت تردد سؤالها بطريقة هستيرية والأخرى تنظر إليها بسخرية.. توقفت فجأة عن ترديد سؤالها.. لمع بريق فى عينيها.. ودوت طلقة فى هواء الليل الموحش.

*

فى الميدان

فجأة أشار لى ناحية رجل يستند إلى السور الحديدى.. فتساءلت بنظرى، ليرد على بضحكه الذى أدهشنى.. ولم أجد مفرًا من انتظاره حتى ينتهى من الضحك لأعرف سبب الإشارة.. ولكنه لعجبى لم يتوقف إلا ثوانٍ، عاد بعدها إلى الضحك بصوت عالٍ.

استفزنى أسلوبه فى الضحك، فهددته بتركه فورًا إن لم يتوقف عن الضحك، ويخبرنى بما يضحكه هكذا، وأثمر تهديدى فتوقف عن الضحك، واستمر ثوانٍ يلتقط أنفاسه.. ثم أشار لى ناحية الرجل الذى يستند إلى السورِ الحديدى.. واستغرق فى نوبة ضحك جديدة.. أثار حنقى، فاستدرت منفذًا تهديدى بتركه: فوجئت بالرجل أمامى يقف مشبكًا يديه خلف ظهره وقد بدت عليه علامات التحفز.

تسمَّرت فى مكانى.. الرجل ضخم وصديقى قصير نحيف.. والمعركة إذا تمت نتائجها محتومة.. جلت ببصرى بين الرجل وصديقى، فانتابتنى نوبة من الضحك.. لم أشعر إلا والرجل يفور

ويمـور، والمارة يحـاولون منعـه من التـحـرش بنا.. بينمـا تلتـقط أذنى تسـاؤلات الرجل المسـتنكرة عـمـا إذا كـان فى مظهـره شىء يضـحك أولاد الـ (...) والمارة ينفون ذلك نفيًا قاطعًا، حتى نجحوا فى تهدئته ومنعه من افتراسنا.

ولم يكن أمـامى بعد انتهاء المشكلة إلا تعنيف هذا الأحمق الذى كاد أن يهلكنا.. استدرت إليه لأعنفه.. ولكنه بدى لى مستغرقًا فى النظر صوب السـور الحديدى.. وعندمـا نبهته إلى وجودى، وسألته عن سـبب ضـحكه الذى كـاد يهلكنـا.. أشـار بدهشـة ناحـيـة السـور الحديدى، فالتفت بحذر شديد. كان الرجل الذى تشاجر معنا، يقف مـستندًا كالسـور الحديدى. ينظر ناحيتنا... وجسـده الضـخم يهتز من شدة الضحك.

*

الدكتورة

لثوانٍ وقفنا نحملق فى بعضنا البعض، وكان أول ما تبادر إلى ذهنى أن أقدم التهنئة على درجة الدكتوراه، قد كنا جميعًا زملاءها . نتوقع لها الكثير، فقد ظهرت لنا علامات عقليتها الفذة أثناء الدراسة، ولكنى فوجئت بطفل على يدها، فأسعدنى ذلك بعد أن نما إلى علمى عنها ما يشبه المأساة، تلك التى تمثلت فى وفاة أكثر من طفل لها بعد ولادته مباشرة، لذلك هنأتها على المولود بحرارة، سائلاً عن اسمه المختار، ثم متطلعًا إلى وجهه المختفى فى صدر أمه، فمبديًا رأيًا مجاملاً فى جمال الطفل وطلعته البهية.

وأخذتنا أحاديث حول الأيام الخوالى، وذكرياتنا التى لا تنسى، والنوادر العجيبة لبعض الزملاء ثم انطلقت تتحدث عن أبحاثها، والآفاق الجديدة التى يفتحها العلم للإنسان، وضرورة تخلص الناس من الأوهام والخزعبلات التى لا أساس لها من العلم، ثم افترقنا على وعد بمداومة السؤال والاتصال...... ولكننى بعد أن فارقتها بثوانٍ اكتشفت بدهشة أن الدكتورة كانت تحتضن الطفل بشكل بدا

لى غريبًا، وكانت تتمتم بكلمات لم أستطع تبينها كلما حانت منى نظرة إلى الوليد.

*

فى المرآة

عندما تحركت السيارة، أخرج أحد الركاب سيجارة، وشرع فى إشعالها. ولكن السائق أصدر أوامره بمنع التدخين، مما أثار ضيق الجميع من الرجال. ثم استكمالاً لفرض هيمنته على السيارة، وأيضًا للقضاء على حالة التذمر، قام بتشغيل شريط كاست جعل الركاب فى حالة من التململ والقلق. وأثار منع التدخين والشريط والجو الحار بالإضافة إلى جهامة وكآبة السائق حالة من الإحباط بين الركاب، جعلتهم يستسلمون للنوم الواحد تلو الآخر.

ولا أعرف لماذا رفضت الهروب من القهر الذى فرضه السائق على السيارة بالنوم، وتغلبت فى نفسى الرغبة فى مقاومة هذا الجو الكئيب الذى أشاعه إمبراطور السيارة بكآبته وأوامره وشريط الكاست.

ظللت أتأمل فيمن حولى، ثم حانت منى نظرة إلى المرآة: كان وجهها الذى يشغل الجزء الأيمن من مرآة السائق الأمامية، يذكرنى بروعة وجوه «رينوار» الملائكية. ورحت أتأمل وجهها الجميل النائم،

الذى انتشلنى من كآبة جو السيارة: كانت يداها تمتدان بحركة تلقائية بينما عيناها مغمضتان، لتسوِّى أجزاءً من شعرها الناعم المعقوص، وبين الحين والحين تأتى انفراجة الرموش لتتفتح زهرة وجهها، ثم تنغلق ثانية. وأنا مستغرق فى تأمل جمال الملاك النائم.

ولكنها استيقظت، ثم استطاعت بعد قليل أن تلحظ نظراتى وتأملى لها عبر المرآة، لتنفرج شفتاها عن ابتسامة رائعة، رددت بمثلها.

وبين التأمل والابتسام، امتدت يد السائق لتزيح وجهها عن سطح المرآة، ليحتله وجهه هو بابتسامة صفراء، رددت عليها بنظرة كارهة، ثم ظللنا نتبادل نظرات الكراهية طوال الطريق.

*

زوايـا

عبرت الشارع لاهثًا، بعد أن تفاديت سيارة مسرعة، كادت أن تدهمنى. ملاعين قائدى السيارات لا يطيقون الانتظار، وكأن لحظة الانتظار ستربك حياتهم، كأنهم أطباء ينتظرهم مرضى على حافة الموت. آخر ما يفكر فيه هم أمثالى ممن يسيرون على أقدامهم. ملاعين ملاعين لماذا كل هذه العجلة؟ بودى أن أهشم كل السيارات المتعجلة بلا معنى، وبلا أى إحساس بمن يستخدمون أقدامهم.

أفتح أزرار قميصى إلى حد غير لائق، المنتصف تمامًا حيث الفانلة الداخلية، ولكن ما حيلتى فى هذا الطقس الجهنمى، لزوجة العرق والجو الخانق والزحام، توليفة رهيبة تؤدى بك حتمًا إلى اتخاذ موقف عداء لحظى من الحياة بأسرها، والطريق إلى محطة الترام طويل ومرهق ولما أضفت إليه تمثلى لحال الترام فى ساعة الذروة تلك، فقد تبدى لى ما أبتغيه عبثيًا، وكأننى المستجير من الرمضاء بالنار، لذلك ـ وبعد تردد بسيط ـ قفزت فى سيارة الأجرة الواقفة فى الإشارة، دونما استئذان من السائق الذى لم يحاول إخفاء ضيقه من تصرفى الأرعن.

طابور السيارات الطويل الذى أصابه الشلل، أحفظها جيدًا إشارة كوبرى الجامعة، لا أقل من ربع الساعة حتى يتدفق النهر ثانية. أنظر فى ساعتى فتشير إلى الثالثة تمامًا، فأدرك أننى متأخر جدًا وأدخل فى حسابات معقدة حول تقدير وقت الوصول، ثم الغذاء، وإمكانية النوم لساعة على الأقل، قبل حلول موعد العمل المسائى، أطلق كمًا لابأس به من زفرات الضيق، قبل أن يتدفق النهر من جديد، وهأنا أقترب من المنزل أخيرًا محطة واحدة فقط وساعتى تشير إلى الثالثة والثلث. تتوقف السيارة فجأة فأنتبه إلى السيدة وهى تدفع بعربة الأطفال أمامها، ألتفت إلى الوراء لأجد طابور السيارات التى تطلق عقيرتها متعجلة السيدة البطيئة جدًا فى سيرها، أتململ فى مقعدى وأنا أراقب بضيق دفعها البطيء لعربة طفلها.. أشعر بمقت مفاجئ لها.. سيدة سمجة لاتكترث بطابور السيارات الطويل المتوقف من أجلها، وبالقطع لم يكن فى بالها أنه ربما هناك شخص مثلى متأخر جدًا.. أف ملاعين هؤلاء المارة فى عدم اكتراثهم.

*

فى غيبة القمر

ليل الصيف عامر بالضجيج والصخب، والناس رائحة وآتية بين مهرول ومبطئ، السماء كانت صافية، ولم يكن هناك قمر.

أضواء المقاهى والحوانيت كانت تتلألأ، والأغانى تتبعث من مسجلات الحوانيت متداخلة، ومتابعة إحداها ضرب من المحال، وهو يمشى فى الشارع كباقى الناس، هدوءه الخارجى يخفى صخبًا يعربد مجنونًا فى ثنايا رأسه، فإنذار الحى وصله بالأمس، ولابد من إخلاء البيت ولا سبيل إلا خيام الإيواء.. لأول مرة منذ الزواج تتحداه زوجته، صرخت فى وجهه أنها تفضل الموت على دخول خيام الإيواء... صرخت وصرخت، ولكنها لم تخبره كيف يأتى لها بشقة جديدة، وإذا وجدت الشقة، فمن يأتى بمقدم الإيجار، فحتى العلاوات ـ تلك الجنيهات القليلة ـ قد حرم منها بعد أن وصل إلى نهاية مربوط الدرجة.. وحتى السلفة عزَّت عليه، فلن يمكنه المدير منها، المدير يريده أن يرى السرقة فى وضح النهار ولا ينبس بكلمة إما أن يفعل مثل الجميع أو يغلق عينه وفمه ولا ينبس بكلمة.

كانت أذنه تمتلئ بصراخ المرأة، يلح عليه بشكل يكاد يدفعه إلى الجنون.. فكر فى نفسه: ماذا يفعل لها وهى تزيد البلاء فوق رأسه. فها هى فى طريقها إلى أن تضع مولودًا، لم يكن يرغب فيه، وحتى مصاريف خروجه إلى الدنيا غير موجودة...

فجأة انقطعت الكهرباء، وتسربل الوجود أمامه بالظلمة، فاتحدت أمام عينه كل ألوان الطبيعة فى سواد قاتم، وبدا الوجود كلاً واحدًا.. تسمر فى مكانه لحظة، ثم واصل المسير فى حذر.. عاودته الخواطر التى انقطعت، وفكر كيف يتصرف، هل يستدين؟ يمد يده للناس؟.. أطبق يده بعصبية..: «لم تكن فى يوم من الأيام ولن تكون شحاذًا» ولاحظ أنه قال هذه العبارة الأخيرة بصوت مسموع... التفت إلى جانبه، فوجد الظلمة تبتلع كل شىء. قال فى نفسه لابأس من الكلام بصوت مسموع طالما أن أحدًا لن يميزه أو يعرفه.

تخلى عن حذره فأسرع فى خطاه. اصطدمت أقدامه بشىء صلب جعله ينكفئ على وجهه قام متباطئًا، ونفض ثيابه، ثم عاود المسير بحذر وهو يستند إلى الحائط. شعر بوخز في يده فتأوه بآهة خافتة. عاد يحدث نفسه بصوت مسموع: وقعت عليها يا محترم، هل أنت محتاج إلى مصائب أكثر؟ هل جرحت؟ تورمت؟.. توقف عن المسير، ورفع يده عن الحائط، حاول أن يرى يده فلم يستطع.. لقد ابتلعت الظلمة كل شىء، حتى القمر. أعاد المحاولة مرة ثانية، وثالثة، ولم ير شيئًا.. قرب يده إلى وجهه وظل يحملق، ولا شىء إلا الظلام.. تلمس

الحائط بيده، فلم تصادف يده سوى الأثير. وقع على الأرض مرة ثانية ارتفع صوته: أين ذلك الحائط الملعون؟ كنت أستند إليه منذ ثوان. هل تلاشى؟ ملعون ذلك الحائط.. جلس على الأرض حيث هو. كرر المحاولة لرؤية يده، وفشل أيضًا.

قفزت إلى رأسه فكرة مجنونة: أنت لا ترى نفسك، فهل أنت موجود؟.. لا شك أنك وهم، فأنت لا ترى نفسك.. ولكن ماذا عن زوجتك والمولود وخيام الإيواء والمدير؟.. كلهم وهم.. فأنت نفسك غير موجود.. لا تنزعج فأنت لا تخرف، فها هى الدنيا أمامك سوداء جرداء، لا أثر فيها للمخلوقات التى تتحدث عنها.. أنت روح تحلق فى الفضاء بلا جسد.. الفضاء الرحب هو مكانك الحقيقى.. إنه يدعوك.. حلِّق فى السماء وارتفع.. حلِّق.. أسرع.. أبطئ.. هأنت الآن تسبح بين النجوم..».

فجاءة سرت الكهرباء والضجيج.. لم ير شيئًا.. ولم يسمع شيئًا... أسلم قدميه للطريق ومضى يغنى بصوت عالٍ.

*

لقاء عابـر

التفت فجأة فألمحها فى غبش الفجر، فأندهش لوجودها على الكورنيش فى مثل هذا الوقت وأتساءل فى نفسى: هل حفاها النوم مثلى؟!

أتأملها على ضوء الفجر الشاحب، ببلوزتها الخفيفة وبنطلونها الضيق وشعرها الفاحم، فأخمن أنها لا تزيد عن السادسة أو الثامنة عشرة، وأراها وهى تميل ناحية السيارات القليلة السرعة فى لا مبالاة، ثم بيأس تضع يديها فى جيبى بنطلونها الضيق، وتركل الأرض بغيظ، تحملق فى الأرض لحظات، ثم تتمشى بخطوات قليلة، وتجلس على المقعد المجاور، مواجهة البحر بعينين متعبتين، وتنتهى بالتفاتة ناحيتى، فتكتشف وجودى بشىء من البهجة، وتلقى إلى بابتسامة مشجعة، أرد عليها بتحفظ متوجس ثم أرتبك عندما أراها تقترب منى فتواجهنى تمامًا... أنظر إليها مستفهمًا، فترد على بنظرة أفهمها فأنتفض مذعورًا، وأنا أبتعد عنها لخطوات، متحاشيًا الالتقاء بنظرتها المتضرعة المستجدية ثم بحركة تلقائية أخرج لها جيبى بنطلونى الخاويين

فتشملنى بنظرة احتقار من أسفل إلى أعلى ثم تبصق على الأرض قبل أن تولينى ظهرها مبتعدة، ولكنها تتوقف فجأة كمن نسى شيئًا، تلتفت إلىَّ بعصبية وتخرج جيبى بنطلونها الخاويين ثم تمضى.

*

دومة والشجرة

متألقة متأنقة.................... وسط غابة من الأحجار.

تلك هى الشجرة الوحيدة فى شارعنا.

شجرة التوت.

كانت الشجرة منزرعة وسط أرض بلا سور ولا أحد من سكان الحى يعرف من هو بالضبط صاحب هذه الأرض، وعلى الرغم من ذلك لم تعدم الشجرة نفرًا من الناس بها وكأنها شجرتهم، وفى عصارى الصيف كنا نتجمع تحت ظلها...... نتحاور ونتسامر. وكنا خمسة أنا وياسر وعماد ومحمد وخامسنا دومة. كنا جميعًا فى المرحلة الثانوية ما عدا دومة... ولم يكن دومة بالصاحب المناسب لنا، فلا هو بالفتى المتعلم، ولا هو بصاحب الخلق وكان البعض يتندر على هذه العلاقة إذا ما قابل أحدنا بالمثل العامى:

- ايش لمّ الشامى على المغربى

وكان من الصعب الاستغناء عن دومة فى مجالسنا فهو من الظرفاء النادرين، ونحن نحب البسمة ونعشق النكتة، دومة بالنسبة لمجالسنا كالملح فى الطعام.

كان أغرب شىء لاحظته أن دومة لا يحب الشجرة، وإذا جلس معنا تحت ظلها جلس متأذيًا، وكنت أشعر أن الشجرة أيضًا تكره دومة... وعندما صارحت الأولاد بهذا الخاطر الغريب ضحكوا منى، وظلوا يتناولوننى بسخريتهم اللاذعة طوال الجلسة، ولكننى، ولكننى ظللت مصرًا على ما أعتقده. ثم تغيب دومة عن مجلسنا، ليعود شخصًا جديدًا.

كان مظهر دومة الجديد غريبًا على أنظارنا: الملابس الغالية.. الحذاء.. كل شىء جديد غالٍ وعندما التففنا حول دومة نسأله عن سر ذلك أجابنا وهو يضحك:

- الرزق يأتى للشطار.

ودعوناه للجلوس كعادتنا تحت الشجرة، ولكنه اعتذر بترفع شديد، ذلك أن ملابسه الغالية لا تسمح له بالجلوس تحت شجرة حقيرة كهذه.

كانت الأيام تمر، والولد دومة يزداد ثراؤه بطريقة غير مفهومة.

إن ذلك لم يجعلنا نندهش فالثراء بهذه الطريقة لم يعد شيئًا عجيبًا فى هذه الأيام ولكن الأمر الذى جعلنا ننظر إلى بعضنا فى صمت حزين، أن شجرة التوت لم تعد تثمر، وسرعان ما بدأت فى الذبول.

*

عفاريت

ربما كنت الوحيد فى شارعنا، الذى لا تعافٌ نفسه مجالسة الشيخ مصطفى، فلم أتطير منه لمجرد كونه حانوتى، كما لم ألق بالاً بما يتناثر حول سمعته على نحو يغتال أمانة الرجل وضميره، فقد كانت فى النهاية مجرد شائعات، تتبدد حالما تجلس إليه وتسمعه يتحدث عن أمجاد المهنة، وأساطينها الأولين، والدخلاء عليها، ثم ينتهى من ذلك كله وهو يهز رأسه متحسرًا:

- خلاص ما بقيتش زى زمان يا بيه.

ويتجلى الشيخ مصطفى بالذات عندما يتحدث عن العفاريت ويتدفق بسيل لا ينقطع من الحكايات.. يتخذ فيها وجه سيماء الجد، ثم يتلون بالارتعاب فى مناطق الإثارة من الحكاية بما يصاحب ذلك من انخفاض الصوت ليقارب الهمس، ثم يعود الصوت قويًا معافى بعد تجاوز المنطقة المثيرة. وعندما لا أستطيع مدارات الابتسامة الى لا تلبث أن تحتل مساحة وجهى يلاحظها بغضب العاتب:

ـ موش مصدقنى يا بيه.. طيب والمصحف حصل.

وأضطر إلى تصديق حدوث ذلك، فيواصل حكاياته التى لا تنتهى إلا بنهاية الجلسة، ثم يؤكد بأننى لن أصدقه تمامًا إلا عندما تظهر لى العفاريت بنفسها.

ولكننى فى الفترة الأخيرة لاحظت عليه ما أثار استغرابى: كان الشيخ ينحف بشدة وتعلو وجهه صفرة كصفرة الموت وكانت نظراته زائغة لا تستقر على شىء.. تطول فترة سرحانه الذاهل بما يبعث على القلق، والأغرب من ذلك أنه لم يعد يتحدث عن العفاريت، وهو ما دفعنى إلى محاصرته ليجلو لى غموض أحواله.

ـ موش حاتصدقنى يا بيه.. موش حاتصدقنى.

ومدفوعًا برغبتى القاهرة فى معرفة سره، أكدت له بأننى سأصدقه، وما عليه إلا أن يتكلم فيجد آذانًا صاغية.

ـ العفاريت يا بيه.. العفاريت

العفاريت هذه المرة تحاصر الشيخ مصطفى، وتنكد عيشته، ولا تظهر له فى الترب وحدها ولكن أيضًا فى الشوارع المظلمة، وفى بيته عندما يطفئ النور، بل فى أى مكان يمكن أن تظهر فيه، والغريب أن العفاريت غير محتشمة، فهى لا تلبس شيئًا كما أنها ليست غريبة عنه.

ـ عارفهم واحد واحد يا بيه

ولكن الشىء الوحيد الذى بقى هلاميًا فى حديث الشيخ، هو سلوك العفاريت، فهو لم يذكر أى فعل محدد لها سوى الظهور وكان

واضحًا من التغيرات التى اعترته أن هناك ما هو أكثر. ولكنه ظل يراوغنى بينما أواصل حصاره حتى احمر وجهه، وارتجف وهو يقول محرجًا:

- عايزين يسرقوا هدومى يا بيه!!

*

مواجهة

ينتقل بصرى من زرقة البحر الرائقة، فيستقر على وجهه الرائق أيضًا، وأتأمل، محياه الطفولى الجميل فتنساب فى مخيلتى ذكريات بعيدة بهيجة، ويلاحظ نظرى إليه، فيمد يده بالكرة تجاهى، فأبتسم معتذرًا وأعود إلى البحر.

عندما ألتفت ثانية، أجده لا يزال يحملق فىَّ، ثم بمجرد نظرى إليه يمد يده بالكرة مجددًا دعوته فلا يجد غير ابتسامتى المعتذرة، فيتكدر وجهه وتغيم عيناه، ثم لا أجد مناصًا عندما تلقى إلى أمه بنظرة رجاء فأقوم محرجًا متثاقلاً، بينما يبتهج الصغير.

يقذف بالكرة فألتقطها وأردها إليه ثانية، وأنا أشعر أولاً بثقل حركاتى، ثم تغزو روحى وجسدى مشاعر الخفة والانطلاق، فأنغمس بابتهاج فى اللعب، ويغرى ابتهاج السيدة، فتندفع إلى المشاركة ليصبح اللعب ثلاثىَّ الأطراف، نتقاذف الكرة ونضحك، وتتخطانى كرة طائشة أعجز عن التقاطها، أستدير إليها ملاحقًا، أنصعق وكأن أحدًا قد وضع مرآة خلفى: يواجهنى بوجهه المتغضن

وشـعـره الأشيب. فـيـبـتلعنى الخـجل تحت وطأة نظراته السـاخـرة، وأستمـر أحملق فيه ببـلاهة، بينما شعيراته البيضـاء تحاول الوصول إلى أقـدامى لتشل حـركتى، ويتناهى إلى سـمـعى صـوت الصـغـيـر مناديًا بإلحاح، فـألتقط حفنة رمـال أقـذفهـا فـى وجـه العـجـوز، ثم أواصل اللعب.

*

اكتشــاف

يجلسـان فى الترام، صـبـيـان سنهـمـا حوالى أحد عـشـر عـامًا: أحدهما أسـمـر، ذو رأس كبيرة كأنهـا رأسـان، يلبس فـانلة رخيصـة، وبنطلون جينز باهتًا، ويضع فى إصبعه خـاتمًا كبيرًا، كالذى يلبسه المعلمين، ولكنه ليس من الذهب، وإنما من نـحـاس لامـع. أمـا الآخـر فـأبيض اللون، رقـيق، وفى وجـهـه مـسـحـة من مـلاحـة يلبس قـمـيصًا مخططًا، وبنطلون جينز رخيصًا، ويضع فى إصبعه دبلة من فضة، واسـعـة على إصـبـعـه، وفى جـيب قـمـيـصـه صـفـارة مـوسـيـقـيـة من البلاستيك.

اقتربت منهما، وأزحت الصبى الرقيق وأنا أقول له:

ـ خذنى جنبك !

لم يلتـفـت إلـى الصـبـى الرقـيق، وإنما توجـه إلى زمـيله «ذى الرأسين» قائلاً فى تفاخر:

ـ أنا رحت بالعجلة لحد محطة مصر.

ورد الصبى «ذو الرأسين» :

- أنا رحت لحد المرسى أبو العباس.

فجأة أشار الصبى الرقيق إلى أحد العمارات قائلاً:

- مرات حمودة الجديدة ساكنة هنا.

- «سيدة» مرات حمودة اتقبض عليها قبل العيد، ومعاها تلت كياس بودرة.

قال الصبى فى اندهاش:

- حصلت حمودة !!

- حمودة حايطلع.. يا عم، رجالة المعلم صالح ما يتخافش عليهم.

- مين اللى قال إنه طالع براءة ؟

- أبو الوله «حمو حموكشة» قال إن التفتيش «بوش» يعنى باطل.

- «حمودة» لازم حايقع تانى.. المشى البطال آخرته وحشة.

- عندك حق.. وإن شاء الله ربنا حاينتقم لابوك.

بدت على الصبى الرقيق أمارات الدهشة والاستنكار:

- وايه دخل الواد أبويا فى الموضوع ده ؟

- ما هو حمودة اللى سلط عليه.

- لا يا أخى.. حرام عليك.. أمى قالت إن الحكومة خدت أبويا بسبب موضوع الانتخابات.

- لا يا جدع وهو أبوك بتاع انتخابات.. ده حمودة هو اللى ورطه وبعدين خانه.

ظهر على وجه الصبى الرقيق عدم التصديق:

- على العموم أمى قالت لى مالكش دعوة بالموضوع ده.. حاتيجى معايا تزور أبويا فى السجن ؟

- حاتروح سجن الحضرة إزاى ؟
- حاركب ترماى من المنشية.
- قول له «زيزو ويوسف» بيسلموا عليك.
- حايزعل منك.
- يا عم مش حايدخلونى.. انت حاتدخل ازاى ؟
- حاستنى أمى والمعلم صالح وادخل معاهم.
- وإيه دخل المعلم صالح فى الموضوع ده.
- هو اللى جاب التصريح.
- وحايدخل معاكم.
- لا.. حايوصل أمى بس.

هَمَّ الولد «ذو الرأسين» أن ينطق بشىء، ولكنه ابتلع كلماته بسرعة قبل أن تخرج من فمه وصوب نظره إلى الأرض فى خجل بينما الولد «الرفيق» قد اكتسى وجهه بسحابة من الكآبة، وغرق فى الصمت وهو ينظر من الشباك نظرات زائغة.

*

الـورد

فى بلكونتى الواسعة أضع أصص الزهور والنباتات التى أعشقها.. فهناك الورد البلدى والقرنفل والخبيزة الأفرنجى والريحان وصبارة... ولا أدرى لماذا اشتريت هذه الصبارة لأعاملها بمثل هذا الجفاء وقلة الاهتمام، فهى فى وسط هذه الزهور تبدو دميمة للغاية.

وأختلف دائمًا مع زوجتى بسبب هذه الزهور، فهى ترى أننى أهتم بهذه الزهور أكثر من اهتمامى بها شخصيًا.

زوجتى ليست فاتنة، ولكنها طيبة للغاية، وتطيعنى دائمًا وتحرص على إرضائى.. ورغم ذلك فإننى لست مقبلاً عليها، وكثيرًا ما أستشعر الفتور تجاهها.

.. ألوم نفسى كثيرًا بسبب ذلك ولكن ما حيلتى وأنا لا أعشق سوى الفاتنات.

.. زوجتى لا تهتم بزهورى وتشعر بالغيرة منها.. وعند دخولى إلى البلكونة صباحًا ومساء لأطمئن على ورودى أتوقع دائمًا

التلميحات اللائمة التى تعبر عن الشكوى من اهتمامى بورودى أكثر من اهتمامى بها.

وفى ذلك الشتاء القارص البرودة، عندما أصابتنى نزلة شعبية حادة منعتنى من الخروج إلى البلكونة لأطمئن على ورودى، كنت أستمع إلى ندف الثلج التى ظلت تتساقط طوال الليل وهى تطرق على النافذة، ليصيبنى القلق على الورد من «النوه» الشديدة...

وعندما تم لى الشفاء، كان أول شىء أفعله هو زيارة البلكونة...كانت ورودى كلها ميتة من أثر الثلج والصقيع، ووحدها كانت الصبارة منتصبة.

*

الفأر

أعود بعد يوم العمل المضنى والحنق المزمن على مديرى اللعين، فتواجهنى زوجتى بوجه هلع وهى تشير إلى المطبخ معلقة بأن هناك فأرًا يرتع فيه. أجلس لألتقط أنفاسى وأحاول التفكير فى مسألة الفأر لأنسى حنقى على ذلك المدير اللعين هو لعين حقًا لأنه لص وغبى ودكتاتور. يعلم الحقير تعبير وجهى عندما أكتشف المخالفات، يقرأ وجهى سريعًا ثم يثبت على وجهى نظرة تجعلنى أتلجلج، فلا أستطيع التحدث فى موضوع المخالفات. يومًا ما سأقول لهذا اللعين كل ما عندى ولن تلجمنى نظراته.

تعود زوجتى إلى تذكيرى بالفأر الذى يرتع فى المطبخ، معلنة أنها لن تدخل هذا المطبخ لتحضير الغذاء إلا بعد إخراج الفأر منه. وأبحث عن مصيدة الفئران فتنبهنى زوجتى إلى أنها تحطَّمت منذ زمن، ثم أسأل عن «سم» فلا أجد لدينا منه شيئًا. ثم فى النهاية أجد نفسى مضطرًا إلى مواجهته بعصا غليظة.

أدخل إلى المطبخ، ثم آمر زوجتى بإغلاق الباب خلفى. تنتابنى رعشة خفيفة لحظة إغلاق الباب ثم أعود رابط الجأش.

ثم محاولاً إخراجه من مخبئه أظل أخبط بالعصا الغليظة على الأرض محدثًا دويًا شديدًا، فأكتشف أنه مختبأ خلف أنبوبة البوتاجاز.

ها هو الفأر أمامى والعصا الغليظة فى يدى. أرفع يدى بالعصا لأهوى بها عليه، ثم يستوقفنى ثباته. أنظر إليه متأملاً فأجده يصوب ناحيتى نظرة ثابتة، جعلتنى بشكل لا إرادى أتراجع خطوة إلى الوراء.

*

السباح الصغير

أراقبه وهو يسبح فى الماء، فتغمرنى السعادة... ها هو ابنى يسبح ببراعة فى الماء، فيذكرنى بذلك الطبيب المتجهم الوجه، والذى لم تتمح صورته من خيالى، وهو يقول لى فى بداية زواجى، وبعد عدة تحليلات: إن الأمل ضعيف للغاية فى أن أنجب طفلاً، وأن على ألا أعلق آمالاً على هذه المسألة، قال ذلك ببرود وقسوة تركت فى نفسى جرحًا غائرًا ازداد غورًا كلما مرت الأعوام بلا إنجاب، وتوالى ترددى على عيادات الأطباء.

ولكن ها هو سباحى الصغير، أراه فتعلق رؤيته كل جروحى، غرفته فى المنزل ما أجملها، فيها كل اللعب وكل الألوان، حتى سريره ملون. تشاجرنا أنا وأمه يومًا حول الأشياء الكثيرة والغالية التى أشتريها له، قالت إننى حتمًا سأفسده، فقلت لها بأن عليها ألا تتدخل فى علاقتى بابنى، فاضطرت إلى السكوت ممتعضة.

أعود إلى تأمله وهو يسبح، ثم أفيق على ما يشبه الصدمة عندما أسمع صوت الطبيب وهو يقول إنه فى الشهور القادمة سيبدو شكله أكثر تحديدًا فى الأشعة التليفزيونية.

*

تحفى الثمينة

تحفى الصغيرة الجميلة، أعتز بها وأحرص عليها بشدة، وأزين بها غرفة الصالون.. أضع تحفى على «الترابيزة» الواطئة قليلاً لسوء حظى، ثم أرتعب بشدة عندما يأتى إلينا ضيوف لديهم أطفال.

جيراننا الذين يقطنون فى الشقة المقابلة كثيرًا ما يزوروننا. لديهم طفل فى غاية الشقاوة، وعندما ندخلهم إلى الصالون، كانت عينى لا تغيب عن مراقبة الطفل، فتدور معه نظراتى القلقة حيثما يتحرك. ولكنه فى إحدى المرات غافلنى وضرب بيده تحفة صغيرة: تمثال «روميووچوليت» كانت غالية الثمن. ورغمًا عنى انفلتت منى نظرة تعبر عن المقت الشديد، لاحظها والده بقليل من الارتباك وكثير من الاعتذار، ولكننى لم أستطع أبدًا أن تكون مشاعرى ودية تجاه العفريت الذى حطَّم تحفتى.

أما هذا الشقى الآخر الذى استطاع أن يغافلنى ويكسر أغلى تحفى: تمثال «بوذا» الرائع، درة تحف الصالون. غافلنى هذا الشقى

وكسره، ثم توقعًا منه لرد فعلى، اندفع نحوى ليحتضننى وكأنه يحتمى بى، فأجد نفسى مضطرًا لأن أهش فى وجهه كى أهدئ من روعه، ثم أحتضنه ناسيًا كل تحف العالم وهو يردد:

- «بابا........ بابا»

*

الأخضـر

نبـاتات «البـوتس» المعلقـة فى شـقـتى تتـدلى من أعلى إلى أسـفل حتى تكاد تلمس الأرض، فتضفى على الشقة لمسة ساحرة، تمازحنى زوجتى كل يوم قبل نومى وهى تتسـاءل: هل اطمـأننت على أولادك قبل أن تنام ؟... ولكن أحد الجبـابرة يثير فى نفسى ليس الخوف على أولادى الخـضـر فـحسب، ولكن على مـسـتـقبل النبـاتات فى شقتى.. إنه أحمد «الصغير» أراه يومًا يمزق نبات البوتس المتدلى، فـأهدده بالخـصـام إذا لم يتـوقف، فـلا يبـالى، ثم أهدده بأن الله سيدخله النار، فيظهر الرعب على وجهه، ويجرى ناحية أمه يبكى خوفًا من النار، فتـهدئ أمـه من روعـه، ويتعـهد وهو يبكى بأنه لن يعود إلى تمزيق أوراق النبات...

ولكننى فى اليـوم التالى أراه يمـارس فـعلتـه الشنعـاء، فـأغـضب وأقـول له إن النبـات سيكرهه، فـيـحـملق فى وجـهى باسـتـغـراب وحيـرة... ثم أخبـره فى صبـاح اليـوم التـالى بأننى أثناء نومـه فى الليل، سـمعت النبـات يبكى بسبب تمزيق أوراقـه، فيطرق الصـغـير

متفكرًا، ويهم بأن يقول شيئًا، ولكنه يتراجع وقد اكتسى وجهه بالحزن.

ولكننى بعد عدة أيام، كنت أمر بصالة المنزل، فإذا بى أرى مشهدًا غريبًا. كان الصغير يلمس أوراق النباتات المتدلية برقة شديدة وكأنه يربت عليها، وبدا لى وهو يميل على إحدى الأوراق الكبيرة كأنه يهمس لها بشىء.....

*

الشـجرة

أكرهها هذه الشجرة القميئة الرابضة فى الفناء.. تقف أمام نافذة غرفتى تكاد أن تسدها وتمنعنى من رؤية العالم الذى خلف النافذة.

ضخمة جدًا هذه الشجرة، وأنا أكره الأشياء الضخمة، كما أنها دون باقى الأشجار ليس فيها أى نوع من الجمال، حتى خضرتها غير مبهجة .

رائعة غرفتى ولا عيب فيها سوى إطلالة الشجرة اللعينة عليها، فبالإضافة إلى كون غرفتى مرتبة وجيدة الأثاث، فهى تعتبر أدفأ غرف المنزل شتاء.

تستفزنى ضخامة هذه الشجرة بلا فائدة، وتطفلها حتى لتكاد تقتحم على غرفتى من خلال النافذة.

أتمنى دائمًا أن أجتثها من فوق الأرض، لولا رغبة أبى فى الاحتفاظ بها، ولكننى كلما حاولت النظر من خلال النافذة واصطدمت بها تعوق رؤيتى، تجددت رغبتى فى أجتثاثها

أصارح أبى برغبتى، وبأن وجود هذه الشجرة يصيبنى بالاكتئاب، ويؤثر على تركيزى فى المذاكرة، فيواجهنى بأن ما أقوله هو كلام فارغ، ولكننى ألحظ عليه بعض القلق فيما يتعلق بموضوع المذاكرة، خاصة وأنها الثانوية العامة.

ثم تواصل أمى إقناعه بإزالة الشجرة خوفًا من تأثيرها على نفسيتى ومن ثم نجاحى بتفوق، فيوافق أبى متضررًا، وهو يردد المثل العامى بأسى: خلينا وراء الكداب.

عندما جاء النجار، وقفت مع أبى نتابع عمله، فقد أرهقت الشجرة النجار رغم استخدامه للمنشار الكهربائى، وعندما تمت إزالة الشجرة، لاحظت نظرات الحزن فى عينى أبى، فقد كانت الشجرة قديمة جدًا.

فى غمرة شعورى بالانتصار، صعدت إلى غرفتى لأرى آثار الوضع الجديد. كانت الغرفة يغمرها الضياء، ولأول مرة استطعت أن أرى العالم خلف النافذة، لقد بدا اجتثاث الشجرة عملاً رائعًا حقًا.

عندما حل الشتاء، اكتشفت لأول مرة أن بالنافذة العديد من الثقوب والمسارب التى ينفذ منها الهواء والذى أحال غرفتى إلى ثلاجة حقيقية، وتعجبت كيف لم أكتشف هذه الثقوب من قبل!!

*

الهـدف

أسير فى الشارع المزدحم، فأخطو خطوة ثم أقف هنيهة لأتفادى اصطدامى بأحد المارة، ثم أعاود الخطو، بينما يصطدم أحدهم بكتفى اصطدامًا خفيفًا .. كان الجميع يسيرون بشكل عشوائى فى اتجاهات متضادة، وبسير متعرج وفقًا للمساحات الخالية التى تظهر بين الزحام، بينما يتوقفون كثيرًا مثلى لتفادى الاصطدام بشخص ما.

ولكننى فوجئت بالمارة أمامى وكأنهم يفسحون الطريق لشخص ما قادم، ثم مر من جانبى هذا الشخص بسرعة كبيرة بدت غير متناسبة مع هذا الزحام، كان نظره وكأنه مثبت على نقطة ما أمامه، لا يحيد عنها، ولم يكن يلتفت فى أى اتجاه وكأنه لا يخشى الاصطدام بأحد، بدا وكأن المارة هم الذين يخشون الاصطدام به.

كان يسير بسرعته هذه فى خط مستقيم، بينما الزحام ينفرج من حوله بشكل مستمر ليمرق من خلاله، وكان نظره لايزال مثبتًا على نقطة ما.

*

تحدى

لأول وهلة ظننت أنه مجذوب.

لحيته الطويلة، ووجهه المرهق المصفر، والنظرات الذاهلة فى عينيه، وجلبابه المتسخ.

يحمل فى يده عصا مثبت فى آخرها قطعة قماش بألوان العلم. ولكن شكّى تبدد بعدما علمت أنه والد التلميذ بالمدرسة المجاورة لمنزلى الذى دهسته مؤخرًا شاحنة البضائع المملوكة لأحد ألمع التجار الذين لمعوا فى حقبة السبعينيات.

بدأ يظهر فى الشارع أمام المدرسة بعد يومين من الحادث. يأتى مبكرًا ويساعد الأطفال في عبور الشارع الخطر أمام المدرسة، ثم يجلس على الرصيف منتظرًا انتهاء موعد الدراسة ليساعدهم فى عبور الشارع إلى الرصيف المقابل.

يقف فى منتصف الشارع بجرأة، شاهرًا العلم فى وجه السيارات ليجبرها على الوقوف، ثم يعبر بالأولاد فوجًا بعد فوج، وبعدها

يذهب إلى حيث لا يدرى أحد أين يسكن، ليعود مبكرًا فى اليوم التالى فى موعد المدرسة.

أراقبه وبعض من علم بقصته يدس فى يده بعض النقود، فيقبلها بلا غضب وأيضًا بلا امتنان، ثم ألحظه وهو يدسها بسعادة فى جيوب الأولاد.

لا يكل من المجىء كل يوم، حتى فى الطقس القارص والمطر، ولايأبه بوقفته المتحدية لطريق السيارات، شاهرًا فى وجهها العلم ليجبرها على الوقوف، بينما يكتسى وجهه بالتحدى السافر والصرامة.

عندما خرجت إلى الشرفة ذات يوم على صرخات الأولاد، كان ملقى فى وسط الشارع بعدما أطاحت به إحدى السيارات، وكان الأولاد متحلقين حوله يبكون.

*

شطرنج

رفع عينيه من فوق الرقعة، ثم قال محذرًا:

- انتبه هذا العسكرى سوف يأكل وزيرك.

أعادنى إلى ما كنت أود أن أنساه.

كان الطَّرْق على الباب عنيفًا وكان الوقت ليلاً.. استيقظت على الضجيج.. استطعت بأذنىّ المنتبهتين وعينىّ النصف مفتوحتين، أن أتابع ما يجرى:

كان العسكرى يسأل عن أخى، انقبضت لرؤيته... أنكرت أمى وجود أخى النائم إلى جوارى، وحاول أبى منع العسكرى من الدخول.. كان العسكرى فظًا قاسيًا.. دفع أبى وأمى حتى كادا أن يسقطا على الأرض. ثم اندفع إلى حجرتنا كثور هائج، وانتزع أخى النائم إلى جوارى بقسوة...

فى عين أخى كانت نظرة ساخرة مستهينة، وكانت أمى تبكى، وأبى يتمتم بدعاء على الظالمين.

قال بلهجة الواثق: إن دفاعك سينهار حتمًا أمام الضغوط.. الأفضل أن تستسلم.

أبيت الاستسلام

مضت شهور ولم يعد أخى.. وأمى لا تتوقف عن البكاء إلا لتعود إليه، وأبى دائم الشرود، وأنا أفتقده وأبكى لغيابه بكاء أم ثكلى.

فى يوم استدعوا أبى...

قالوا: فليعترف على زملائه وسيعود معك إلى البيت.

قال: ابنى لا يفعل ذلك:

قالوا: سنعذبه حتى يعترف.

قال: ليحفظه الله خير الحافظين.

قال بثقة: كش ملك.... ثم أردف قائلاً: ـ «ألم أنصحك بالاستسلام، لقد مات.

انطلق يضحك منتشيًا بالنصر.

لم أصدق أنه مات، حتى بعدما أحضروا لنا جثته. لم تقو أمى على ذلك، فسقطت مغشيًا عليها، وأبى المكلوم، لم يفرغ لسانه من الدعاء.

على القبر الذى زعموا أنه لأخى، زرعت نباتًا.. تعهدته بالسقاية كل يوم، وكنت سعيدًا عندما رأيته ينمو.

مازال صاحبى مزهوًا بالنصر الذى حققه، وأنا أحملق فى الرقعة غير مصدق، فجأة صحت فيه:

ـ لا.. إنه لم يمت.. مازال هناك مخرج.

*

إعــلان

فى ذلك اليوم لبست أفضل ما لديها من الثياب، فقد كانت الضيفة فى البرنامج التليفزيونى الشهير، قبل التصوير قالوا لها إن عليها أن تبتسم فى لحظة ما للمشاهدين، وأن يظهر عليها الشعور بالسعادة، واستمعت هى إلى ما يقال فى صمت وهزت رأسها بشكل أخرق.

قالوا إن الشركة الكبيرة ستقدم لها ألف جنيه مساعدة منها فى تكاليف علاج رجلها المريض الذى يرقد شبه ميت، ومصاريف أولادها الأربعة الذين كانوا على وشك أن تخرجهم من المدارس.

ثم جاءوا بالمصور والمذيع إلى المنزل ليصوروا الرجل الراقد على الفراش وهى وأولادها الأربعة من حوله.. وعندما بدأت الكاميرات تدور، تذكرت أنها يومًا رفضت أموال الصدقة فى الخفاء.

كانت الكاميرا تدور، والمذيع يسأل، وهى تجيب وذهنها شارد.

ناولها المذيع المظروف الذى يحتوى على مبلغ الألف جنيه المقدمة من الشركة الكبيرة، فابتسمت كما قالوا، وابتسم أيضًا

الرجل المريض وتضاحك الأطفال. عندما توقفت الكاميرا وانطفأت الأنوار وذهبـوا جـمـيـعًـا، انزوت هى حـيث لا يراها أحـد، فى ركن مظلم..... وبكت بغير صوت.

*

أغانى نـور

كان الكبار يقولون عن «نور» أنه مجنون، وأنه من الخطر علينا مصاحبته فقد يضرب أحدنا أو يعضه.. ولكننا نحن الأطفال كنا نحبه، ولم نكن نصدق أنه مجنون، على الرغم من كلام الكثيرين الذى لا نفهمه أحيانًا.. لذلك لم تفلح محاولاتهم المستميتة سواء بالحيلة أوبالقوة فى صرفنا عن عم «نور». كنا نغافلهم ونذهب لكى نلتقى به بعيدًا عن أعينهم.

كان يروى لنا حكايات غير التى نتعلمها فى المدرسة ويعلمنا الأغانى التى لا نفهم بعض معانيها، والتى على الرغم من ذلك أحببناها كثيرًا... وفى كل مرة نجتمع فيها مع «نور» يحكى لنا ويغنى ونغنى معه، كنا نلاحظ أن عيونًا تراقبنا من أماكن شتى، وعندما يهبط الظلام كانت العيون تلمع ببريق مخيف، ولكن وجوده معنا كان يبعث فينا الطمآنينة.

كانت الأيام تمضى معه رخوة هنية، إلى أن جاء يوم لم نحزن فى طفولتنا مثلما حزنا فيه......

اختفى «نور» فجأة

انطلقنا نبحث عنه فى كل مكان نعرفه، وسألنا عنه كل الناس، فلم نصادف من الجميع سوى الصمت والنظرات المحذرة...

كانت الصدمة قاسية علينا كأطفال، فاعتكف كل منا فى منزله لا يبرحه... فلا تجمع ولا لعب ولا ضحك، فقد انقطعت الحكايات وسكت صوت الأغانى.

وأخيرًا استطعنا تجاوز الأزمة... أصبحنا نجتمع فى نفس المكان بعد غيابه، ونتداول حكاياته التى كان يرويها، ونغنى الأغانى التى كنا نسمعها منه.

كانت الأيام تمر، ونحن نكبر. وشيئًا فشيئًا بدأنا نفهم الكلمات والأغنيات التى لم نكن نفهمها.. ثم لم تلبث أن عادت تلك العيون ذات البريق المخيف تطل من جديد.

*

الصومعة

الدهشورى يحب ويضحك ويتحمس كطفل، رغم البياض الذى جلل رأسه. يقرأ قصصنا بصوت عال، وبنبرات تمثيلية يجسد من خلالها الانفعالات النفسية للشخصيات، ثم يتوقف بشكل موحى عند مناطق الجمال فى القصة، أرفض دائمًا أن أقرأ قصصى فى الندوة بصوتى، أتركها له ليقرأها فتبدو أروع مما أظن. بعد أن ينتهى من القراءة يضع القصة بجانبه بحركة سريعة ثم يقول:

ـ قصة جيدة.

أو يعبس وجهه وهو يقول:

ـ قصة سيئة.

ثم يبدأ فى تأصيل الجودة أو تعليل السوء.

على مدى سنوات طويلة، يتحمل منزل الدهشورى الضيق المتواضع الندوة الأسبوعية. من أطراف المدينة يأتون. كل واحد يحمل قصته. يمتلئ المنزل الضيق ويتكوم أهله فى غرفة صغيرة

حتى تنتهى الندوة، بينما أكواب الشاى لا تنقطع عن المجيء يحملها ابنه، وكأن المنزل تحول إلى مقهى، بعد فترة يعلو صوته بحنان أبوى:

ـ ألم يجع أحد.

أنظر إلى جمهور الجالسين، ثم إلى المكتبة الكبيرة العامرة.

أقول مازحًا:

ـ لو أنفقت كل هذا العمر فى بيع سندوتشات الفول لأصبحت مليونيرًا.

يبتسم بينما ظلال من الحزن تتراقص فى عينيه.

أقول له:

ـ ليست هذه ندوة، وإنما ورشة لصناعة الأدباء.

يكتسى وجهه بالحزن:

ـ فى مكانك هذا كان يجلس «فلان»، كنت أصلح له الأخطاء اللغوية والفنية، فتتحول القصة إلى شىء آخر غير الذى أتى به.

يشد الاسم انتباهى لشهرته. يلاحظ ذلك فيعاجلنى:

ـ لم يعد يذكرنى الآن، فى أحاديثه فى الجرائد يذكر أصحاب الفضل عليه ولست أنا منهم. جميعهم من نقاد العاصمة.

وبحزن أيضًا يشير إلى الكنبة أسفل المكتبة:

ـ هنا كانت الجلسة المفضلة لـ «علان».

أنبهر لهذا الاسم الشهير أيضًا.

- كان لا يجيد إنهاء القصة، كنت أكتب له النهاية أحيانًا، ولكنه فى نهاية الأمر أصبح يجيدها بشكل مذهل.

ثم يأتى صوته محملاً بنبرات محبطة:

- بلغنى أنه سئل عنى، فأنكر أنه يعرفنى.

ولكنه يستعيد حماسته بسرعة عندما يشرع أحدنا فى قراءة قصة جديدة. يثبت نظره على نقطة ما فى الأرض محاولاً الحصول على أعلى تركيز، ثم يعلن رأيه بسرعة عقب انتهاء القصة، وبعدها يحلل عناصر القصة.

كثيرًا ما يوجه حديثه إلى صاحب القصة السيئة:

- هل قرأت تشخوف؟!

وقبل أن يجيب، تمتد يد الدهشورى إلى أحد أرفف المكتبة الكبيرة، ليخرج مجلدًا من الأعمال المختارة لتشخوف، يقدمه إليه وهو يقول:

- على شرط أن تعيده سليمًا مثلما أخذته

ولكن الكتب دائمًا لا تعود، والمكتبة الكبيرة تنزف باستمرار، بينما لا يتوقف هو عن الإعارة حتى بدون طلب، يخرج أحيانًا مجموعة قصصية لكاتب لامع، يقرأ ثم يحلل القصص تحليلاً بديعًا. أنبهر بقدرته الفذة فى التحليل، أقول له متحمسًا:

- لماذا لا تنشر هذا التحليل فى مجلة.

يشيح بيده فى لا مبالاة، ثم يواصل القراءة والتحليل.

يفاجئنا أحيانًا بدراسة عن أعمال يوسف إدريس أو نجيب محفوظ، يقرأها علينا بطريقته المعهودة.

أقول له:

- لماذا لا تجمعها فى كتاب.

يتجاهل ما قلته، ويخاطب الحضور:

- هل أحدكم لديه قصة جديدة.

يومًا قابلت صحفيًا مشهورًا بمجلة أدبية، قدمت له إحدى قصصى لنشرها.

قلت بحماس:

- الدهشورى قال إنها قصة جيدة

نظر الصحفى فى وجهى بدهشة:

- من يكون هذا الدهشورى؟!!

صدمت. تساءلت فى نفسى: أيوجد من لا يعرف الدهشورى؟! كدت أن أقول له إنه يصدِّر إلى العاصمة أدباء أصبحوا مشهورين. ولكننى كنت واثقا أننى سأتعرض لنظرة تتهمنى بالكذب.

ولكن الندوة الأسبوعية تستمر، يأتى أدباء جدد يقرءون ويستمعون، ويحملون عند مغادرتهم كتبًا قيمة، وآخرون يلمعون

وينقطعون عن الندوة ثم لا يتذكرون الدهشورى، بينما هو لا يزال يحدّق فى الأرض للتركيز فيما يسمعه، ثم تلتمع عيناه ببريق خاطف وهو يصيح بحماس:

- قصة جيدة.

*

الفريسة

كانت السيدة الصغيرة تشعر بالإحباط، وهى تقف أمام باب عيادة طبيب الأسنان، كان الباب مغلقًا، لم تنم الليلة الفائتة بسبب ألم أحد الأضراس. وضعت يديها على زر الجرس، ضغطت الزر ثلاث مرات، ثم أنزلت يدها بحركة يائسة. ولم تكن تدرى أن عينًا تراقبها من وراء العين السحرية للباب المقابل لعيادة الطبيب وأن هذه العين تنتظرها منذ أن طقطق حذاؤها على أول درجات السلم، ولم تدر أيضًا أن هذه العين تتربص - دائمًا - لطقطقات الأحذية النسائية التى تعلو وتتضخم بشكل لافت بفعل الرخام وهدوء المنزل الشديد، فتلتقطه الأذن المتربصة المدربة.

انفرج باب الشقة المواجه لباب الطبيب ببطء؛ ليكشف عن امرأة عجوز. كانت العجوز تلبس ثوبًا أسود طويلاً، وعلى رأسها طرحة سوداء - أيضًا - انحسرت قليلاً عن الرأس لتكشف عن شعر فضى لامع كانت منحنية، وتكاد تكون فى انحنائها تشبه الرقم اثنين. مظهرها كان كئيبًا إلى الدرجة التى جعلت قلب السيدة الصغيرة

ينقبض لمرآها، خاصة وقد صاحب فتح باب شقة العجوز هبوب رائحة عفونة. قالت المرأة العجوز بصوت مرتعش:

- «الممرضة تأخرت عن موعد فتح العيادة»

قالت السيدة الصغيرة:

- «لا بأس، سأنتظرها هنا»

قالت المرأة العجوز:

- «تفضلى، أنا أعرف تليفون منزل الدكتور، سأتصل به ليأتى حالاً، منزله قريب من هنا»

فتحت العجوز الباب عن آخره:

- «تفضلى»

السيدة - بدافع الإحراج - عبرت باب الشقة بخطوات خجولة، ولكنها بمجرد أن خطت داخل الشقة، حتى شعرت بالخوف. الإضاءة داخل الشقة كانت ضعيفة. الأثاث قديم متهالك براويز الصور الأبيض والأسود المعلقة على حائط الصالة، توحى بالكآبة، بالإضافة إلى رائحة العفونة التى تغمر الشقة.

انخلع قلب السيدة الصغيرة، عندما أغلقت المرأة العجوز باب الشقة. استولت عليها - على الفور - وساوس وأخيلة عن أشخاص يخرجون من إحدى الغرف يذبحونها ثم يستولون على حليها الذهبية. شعرت بالسخط على نفسها لأنها قبلت الدخول فى شقة

غريبة. تساءلت فى نفسها: هل استدرجتها العجوز إلى فخ ؟.. شعرت بالندم.. كانت لاتزال تقف أمام العجوز بالقرب من الباب.

قالت السيدة الصغيرة بصوت هامس: -

- «أشكرك. سأنتظر الدكتور بالخارج».

ربتت العجوز على كتف السيدة فشعرت السيدة بقشعريرة تسرى فى جسدها:

- «أنت مثل ابنتى، لا يصح أن تنتظرى على السلم».

دفعت العجوز السيدة الصغيرة برفق إلى الداخل، فازداد توجس السيدة وفكرت فى الصراخ ولكن شيئًا فى داخلها أحبط هذا الصراخ وأجله إلى أول بادرة سوء.

ما أن جلست السيدة الصغيرة على أحد كراسى الصالة، حتى جالت ببصرها فى أرجاء الشقة التى تنبعث رائحة العفونة من كل أرجائها، توقف نظرها على الحائط المرصع بالصور الأبيض والأسود. كانت العجوز تتابع نظرتها.

أشارت العجوز إلى صورة رجل غليظ الملامح يحمل شاربًا غليظًا أيضًا:

- إنه المرحوم زوجى. كان طبعه صعبًا. معاملته كانت جافة، ولكنى تعودت عليها. فى أول الأمر كنت أحزن عندما كان يشتمنى، أو تمتد يده إلى، ولكننى فى نهاية الأمر لم أعد أتأثر كثيرًا من ذلك، تعودت عليه، كل رجل له بعض الطباع السيئة. رحل منذ عشر

سنوات. صراخه وشتائمه أرحم بكثير من أن يجلس الإنسان ليكلم نفسه طوال النهار»..

السيدة الصغيرة التى بدأ أثر الدواء المسكن يزول عنها، بدأت آلام الضرس تعاودها من جديد وأخذت تفكر بغيظ - بعد أن هدأت هواجسها قليلاً من ناحية العجوز - فى الممرضة التى لم تفتح العيادة حتى الآن والطبيب الذى تأخر.

واصلت العجوز:

- «الأيام تمضى متشابهة. لا يزورونى أحد كما ترين. أحاول خدمة نفسى على قدر استطاعتى».

أشارت العجوز إلى برواز كبير يحمل صورة نصفية لشاب فى ملابس عسكرية:

- «ابنى. مات فى النكسة. كادت عينى تنطفئ حزنًا عليه».

نهنهت بصوت خفيض. مسحت عينيها فى الطرحة السوداء، ثم تمخطت فى طرفها:

- «لازلت أبكيه حتى الآن».

كانت السيدة الصغيرة قد أصابها الملل وهاجمها ألم الضرس بضراوة، وشعرت بعدم قدرتها على الإنصات للمرأة العجوز.

قالت السيدة الصغيرة بنفاد صبر:

- «قلت إنك تعرفين رقم تليفون الدكتور. هل يمكننى الاتصال به؟».

قالت العجوز بلهجة مذنب يعترف:

- «معذرة يا ابنتى. ليس لدى تليفون».

انتفضت السيدة الصغيرة واقفة، وهى توجه إلى العجوز نظرات ملتهبة.

قالت العجوز بود:

- «لا تتعجلى. سيأتى الطبيب حالاً، انظرى إلى هذه الصورة. إنها ابنتى. هذه صورة زفافها. هى فى أمريكا الآن مع زوجها ...».

دون أن ترد السيدة الصغيرة، اندفعت تجاه باب الشقة، فتحت الباب. أغلقته وراءها بعنف. اندفعت تعدو إلى السلم غاضبة. كادت أن تصطدم بسيدة أخرى كانت تصعد السلم. السيدة الصاعدة كان كعب حذائها يطقطق على درجات السلم، بينما شرعت عين فى أن تتخذ مكانها خلف العين السحرية للباب المغلق توًا.

*

الوقـف

- «عندما نأخذ حقنا فى الوقف سنشترى لك أحسن جهاز».

تبادل الجميع من وراء ظهرها ابتسامات مشفقة. للمرة الألف يسمعون حديث الوقف. وكلما تتعقد الأمور يزداد الوقف حضورًا وإلحاحًا. كانت البداية مجرد كلمات سمعها الرجل أثناء خطوبتهما منذ زمن طويل، وهى تسرد ذكريات عن تاريخ عائلتها:

- «كان المرحوم جدى من مسحقى وقف «خاتون»

وعلى فترات متباعدة، كان يسمع هذه الكلمات التى غالبًا ما تقال بعدم اكتراث.

وعندما اضطر يومًا إلى بيع المصوغات الذهبية لمواجهة إحدى الأزمات المالية، قالت له - لأول مرة - بجدية شديدة:

- إن لنا حقًا فى وقف «خاتون».

لم يلق الرجل بالاً لتلك الكلمات، ولا حتى للجدية التى قيلت بها، اعتبره فى النهاية كلام نساء، والنساء لا يعنون دائمًا ما يقولون.

ولكن الأمور لم تتحسن، وازدادت صعوبة مع مجىء الأولاد ومصاريفهم، وبدأ وقف «خاتون» يصبح ضيفًا دائم التردد على الأحاديث.

ـ لابد من أن نسعى لنيل حقنا فى الوقف.

ـ دعينا من وقفك اللعين هذا..

تنتهى الأمور دائمًا بخناقة، وخصام ربما يمتد لعدة أيام، ثم يأتى الصلح لينام بعده موضوع الوقف حتى أزمة مالية أخرى، فيصحو من مرقده.

عاد الوقف هذه المرة بكامل عنفوانه مع خطبة البنت الكبرى. حفلة الخطبة مرت بسلام، حيث تم حفل عائلى بسيط فى المنزل، أمكن تدبير نفقاته، ولكن بقيت مشكلة جهاز العروس الذى يحتاج إلى آلاف كثيرة من الجنيهات.

ـ نذهب إلى المحامى.

ـ لا داعى لتبديد المال، نحن فى حاجة إلى كل قرش.

ـ قروشك التى تخاف عليها لن تحل أو تربط فى تجهيز البنت.

كبر الرجل، ولم يعد يمتلك القدرة على التصدى لنزواتها، فى الماضى كان يشخط وينطر، حتى يتمكن من إسكاتها. أما الآن فقد امتصت الحياة كل قدرته على الصمود.

ظل يلعن فى نفسه «خاتون» وأحفاده ووقفه، وهذا البلاء الذى انصب على رأسه بسببه، ولكنه فى النهاية كان على استعداد تام

للتسليم والذهاب للمحامى، فلم يكن على استعداد لإثارة المشاكل معها.

ـ أولاد الحلال أرشدونى إلى المحامى. أفضل محامٍ فى بر مصر. متخصص فى قضايا الأوقاف.

ارتدى ملابسه فى تسليم. المحامى سيأخذ المصاريف فحسب، أما الأتعاب فهى نسبة من مال الوقف، هكذا أخبرته هى. طوال الطريق كان الرجل يفكر فيما سيضطر إلى دفعه كمصاريف من أجل عيون الوقف، أما هى فقد أشرق وجهها، وتناوبتها أحلام اليقظة عن الثراء المتوقع. أراد أن يسألها كم من السنوات عليهم أن ينتظروها من أجل مال الوقف، ولكنه تراجع حتى لا يثير مشكلة.

عندما وصلا إلى مكتب المحامى. هالهما هذا الازدحام. الصالة ممتلئة عن آخرها، بينما يقف البعض على السلم، استطاعت المرأة أن تميز لهجات ريفية وصعيدية وأخرى لا تعلم إلى أى الأقاليم تنتمى. كانت تنظر إليهم فى دهشة، بينما تتردد فى صالة المكتب أصداء اسم «خاتون».

*

الظـل

فى المساء ظل يحملق فى سقف الغرفة، وهو يتأمل حياته.. تلك الخاوية المملة التى تبدأ من الثامنة صباحًا بالعمل، وتنتهى فى المساء إما بالحملقة فى سقف الغرفة كما يفعل الآن، أو بالجلوس على مقهى الحى المتواضع، يلعب (الطاولة) مع صديق. دائرة الأصدقاء محدودة، أما النساء فلا توجد علاقات تربطه بهن، فهن لا يقبلن عليه، رغم أنه يصبو إليهن.. فى الصباح أخبره أحد زملاء العمل بأن نجمًا جديدًا قد بزغ فى سماء الفن، وأن هذا النجم يشبهه تمامًا بشكل مذهل، لم يلق بالاً لهذا الخبر التافه، فما له ومال نجوم السينما تلك التى لا يذهب إليها أبدًا، فلهؤلاء حياتهم وله حياته. وهو لا يتابع حتى الأخبار الفنية بالصحف لتفاهتها وتركيزها على أمور شخصية ليس لها أدنى قيمة من وجهة نظره.

ولكنه استرسل في المقارنة بين حياة نجوم الفن العامرة بالمباهج والمسرات، وحياته الخاوية الفقيرة، وللحظة تمنى أن يعيش مثلهم..

ولكنه طرد هذا الخاطر بعنف، فليقتنع بحياته مهما كانت مملة، فهو فى النهاية ليس من هؤلاء.

وبعد عدة أيام لاحظ أن الناس فى الشوارع يطيلون النظر إليه، فاندهش لذلك، وأخذ بين الحين والآخر يلقى نظرة على ملابسه لعل فيها ما يلفت النظر، حتى لقد نظر إلى هيئته بكاملها فى زجاج فاترينة إحدى المحلات حتى اطمئن إلى أنه ليس فى ملابسه ما يثير الريبة. ولكنه تذكر على حين غرة حديث زميله عن النجم الذى يشبهه. فخطر على باله أنهم ربما يحدِّقون فيه لهذا السبب. ولكنه بملابسه العادية جدًا، لا يشبه نجوم الفن. عقد العزم على أن يسأل زميله عن ذلك النجم عندما يذهب إلى العمل فى الغد.

- له (فيلم) معروض الآن.

- أين؟

- فى سينما «راديو».

قرر أن يذهب ليشاهده، وليرى حقًا هل يشبهه إلى الدرجة التى يتحدث عنها زميله. وعندما وقف أمام شباك التذاكر ارتبكت الفتاة الجالسة خلف الشباك وهى تطيل إليه النظر. عند دخوله إلى صالة العرض تذكر أنه لم يدخل سينما منذ أكثر من عشر سنوات. ظل مبهورًا طوال العرض. لم يكن يتصور أن يشبهه شخص آخر إلى هذه الدرجة المذهلة. وبعد انتهاء العرض وأثناء خروجه من السينما، لاحظ ملاحقة العيون المبهورة، كما لاحظ بسعادة شديدة رحل البريق فى عيون النساء.

عندما عاد إلى المنزل، أخرج كل الصحف والمجلات الخاصة بالشهر، وظل يبحث عن أخبار تخص ذلك النجم، كان يشعر بالتفاهة، ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من ذلك. لاحظ اختلاف ذوق الملبس وشكل تسريحة الشعر، وقف أمام المرآة يحاول أن يقلد تسريحة الشعر فبدا له ذلك مستحيلاً بدون قص شعره عند الحلاق. نظرات الناس المنبهرة أعطته إحساسًا رائعًا يستحيل نسيانه، أنه مهم ومحط للأنظار. لم يكن في يوم من الأيام مهمًا أو محطًا للأنظار. أما البريق فى عيون النساء فكان شيئًا ساحرًا لم يعهده من قبل. كان يتصرف كالمسحور عندما ارتدى ملابسه بسرعة ونزل إلى الحلاق ومعه صورة النجم، وطلب منه أن يقص شعره على هيئته، ثم ذهب إلى منطقة وسط البلد التجارية، واشترى قميصًا وسروالاً على النمط الذى يلبسه النجم. وأمام المرآة وقف متسمرًا، إنه هو، لا يستطيع أحد أن يفرق بينهما. أخرج مبلغًا من مال كان قد ادخره لمواجهة الزواج إذا ما وجد المرأة المناسبة، وقرر الذهاب إلى أحد المحلات الراقية ليجرب تأثيره على الناس.

لدى دخوله المحل قام المدير لاستقباله فور رؤيته، وسادت حالة هرج خفيفة، واتجهت أنظار الجميع ناحيته، ولاحظ بسعادة شديدة أن الفتيات الجميلات تلقين نحوه بابتسامة عذبة، كان يرد عليها بالمثل، قامت إحداهن لتحيته، وأخبرته أنها معجبة للغاية بأدائه، وطلبت منه صورة عليها توقيعه، ولكنه اعتذر لعدم وجود صورة معه، وعندما همَّ بمغادرة المحل، أراد المدير أن يكون حسابه مجاملة

من المحل، ولكنه أبى وترك بقشيشًا سخيًا، وفى طريق عودته اشترى كل المجلات الفنية حتى يجمع أكبر قدر من المعلومات عن حياة النجم الشخصية. وفى الأيام التالية، كان دائمًا ما يشاهد بصحبة فتاة جميلة، أو تحيط به كوكبة من الناس يسعون إلى التقاط صورة فوتوغرافية أو توقيع (أتوجراف). كان يتحدث دائمًا عن مشاريع سينمائية، وحكايات ونوادر لفنانين آخرين، وذكريات مع ممثلات شهيرات مثل أمامهن، وكان يشعر بالاشمئزاز كلما تذكر حياته السابقة الخاوية والمملة، فها هى الحياة تبتسم حتى تكاد تضحك له. كان يشعر أنه دخل عالمًا مسحورًا، عامرًا بالأضواء والألوان، أصبح يوغل فيه بسرعة شديدة.

ولكنه فوجئ ذات يوم كما فوجئ جميع الناس بخبر فى صفحة الحوادث، عن القبض على النجم الشهير فى قضية تمس الشرف والاعتبار، فأصيب بالصدمة والإحباط، وشعر بالمذلة والعار، واضطر إلى الاحتجاب فى منزله هربًا من مواجهة الناس وظل يتابع أخبار القضية من خلال الصحف، ثم قرأ أنه تم الإفراج عن النجم بكفالة كبيرة تمهيدًا لمحاكمته، وعندما جرب الخروج إلى الشارع، اصطدم بنظرات الناس القاسية؛ ولمح الاحتقار فى وجوه النساء، فرجع مقهورًا إلى بيته يحتجب به، وظل يتابع بأسى القضية فى صفحة الحوادث، حتى صدر الحكم بإدانة النجم، وقد استقبل الحكم بإحساس بالظلم والجور بعد أن نفى النجم فى حديث للصحافة تورطه فى القضية. ظل حبيس المنزل ورفض محاولات زملاء العمل لإخراجه من العزلة، وظل شهراً كاملاً لا

يخرج، ولكنه اضطر إلى الخروج بعدها، كان يجلس منزويًا فى ركن المقهى المتواضع، رث الثياب ومنكوش الشعر، إذا ما اقترب منه أحد ونظر إليه، بادره قائلاً:

ـ لا تصدق ما ينشر فى الجرائد . أنا مظلوم.

*

الفتى الأبيض

لم يكن حلمه بالبالطو الأبيض، وهوى زميلة الطب ذات البشرة الحليبية، وقطته السيامية البيضاء مجرد مصادفات فى حياته، فالأشياء البيضاء دائمًا ما كانت تخطف بصره وتأسر قلبه بقدر ما ينقبض من اللون الأسود. وخرج لأول مرة فى حياته فى مظاهرة ليهتف بحماس ضد كل الأشياء السوداء، ولم يكن يشعر - لفرط حماسه - ببرودة يناير القارصة، وأثناء المظاهرة كانت تلتقى نظراته مع نظرات رفاقه فى الجامعة، فتعبر العيون عن الفرحة بما يصنعونه. ولكن الجنود أحاطوا بهم، وأوسعوهم ضربًا بالعصا المكهربة. واستطاعوا الإمساك به مع بعض رفاقه، واقتادوهم إلى مبنى بارد، ثم أدخلوهم إلى ضابط شاب أكسبته البدلة الرسمية السوداء هيبة وجلالاً.

قال لهم الضابطُ حانقًا:

- تهيجون الناس يا أبناء الزوانى.

أوجعه أن تهان أمه بهذا اللفظ، فتح فمه ليرد، ولكن صفعة اعتقلت رده فى لسانه، احمر وجهه غيظًا وقهرًا.

علا صوت الضابط:

- إن لم يعجبك الكلام، نستطيع أن نزنى بأمك هنا أمامك.

وأشار الضابط لرجاله، فأمسكوه وجعلوا رأسه إلى الأرض، وضربوه بعصًا رفيعة ملفوفة على أقدامه المرفوعة لأعلى، حاول أن يتحداهم بتحمل الألم وعدم الصراخ، قال له الضابط ساخرًا:

- تظن نفسك رجلاً؟!!

ثم أردف مخاطبًا جنوده:

- أعيدوا إليهم عقولهم داخل الرؤوس.

اقتادهم الجنود إلى غرفة باردة وكئيبة، وتباروا فى إيلامهم وإهانتهم، ورسم له أحد الجنود دشًا على الحائط وأجبره على خلع ملابسه والاستحمام تحته وسط ضحكات باقى الجنود. لم يقو على الاحتجاج. كان يبتلع الإهانات، فيشعر بمرارتها فى حلقه، وهو الذى لم يعتد الإهانات طيلة عمره القصير. وكان يضنيه التساؤل: ما الذى يبرر إهانة أى إنسان؟!!. حاول أن يتذكر أشياءه البيضاء، فجاءت صورها باهتة مهتزة.

كان رقيقًا وضعيفًا ولم يستطع تحمل نوبات الضرب المبرِّح، فأغمى عليه عدة مرات، عندما أفاق من الإغماءة الأخيرة، نظر بتلقائية - من خلال الضوء الضعيف بالغرفة - إلى ساعة يده

فوجدها تشير إلى الثالثة، اندهش لأنه كان قد نظر فى ساعته قبل أن يقبضوا عليه بحوالى الساعة، وكانت الثانية ظهرًا، والآن قد حل المساء.

عند الفجر ألقوا عليه ماء باردًا، فاستيقظ مذعورًا، وأخبره أحد الجنود بأنه قد أصبح ديكًا وأن عليه أن يؤذن مثل الديكة حتى يوقظ رفاقه، وجعلوه يؤذن كالديكة حتى استيقظ رفاقه.

عندما أفرجوا عنه، كان قد أحس بشرخ فى روحه، وشعر بأنه لن يلتئم أبدًا، كانت روحه ممتهنة ولم يكن قد جرَّب من قبل القهر والامتهان، نظر إلى الناس فى الشوارع، فأحس بأنهم مجرد آلات تتحرك. بدت له الشوارع كئيبة ومعتمة رغم أضواء المصابيح. حاول أن يتوارى عن الناس حتى لا يروا روحه الممتهنة. حانت منه نظرة إلى ساعة يده. كانت لاتزال تشير إلى الثالثة. لأول وهلة ظن أن الساعة قد أصابها العطب، ولكنه اندهش عندما رأى عقرب الثوانى يدور بلا انقطاع، وعندما مر بأحد المقاهى، لاحظ أن الساعة المعلقة على الحائط تشير إلى التاسعة والنصف.

عندما شاهدوه فى البيت بعد هذا الغياب فرحوا، ولكنه لم يستطع أن يفرح، ولما أفزعهم منظره حاولوا إضحاكه. حاول أن يجاملهم، ولكنه اكتشف عدم قدرته على الضحك. كان يخشى أن يشاهدوا روحه المشروخة. أغلق عليه باب غرفته، ولم يرد على الطرقات أو النداءات. كان منكفئًا على شرخ روحه الذى بدأ يتشعب ليصبح عدة شروخ. نظر بيأس إلى ساعة يده وكانت لاتزال تشير إلى الثالثة رغم دوران عقرب الثوانى.

عندمـا حـاول بعـد ذلك أن يفـتح أحـد الكتب، تراءت له على الصفحات مشاهد امتهانه، فأغلق الكتاب بعنف ليهرب منها، ولكنها ظلت تطارده بلا رحمة. حاول أن يتذكر أشياءه البيضاء: البالطو ووجه الحبيبة والقطة السيامية، ولكن الذاكرة كانت عصيَّة، فقط كانت بدلة الضابط الرسمية السوداء هى التى تلح على مخيلته. نظر بحنق إلى ساعته وقرر يائسًا أن يذهب إلى محل الساعاتى. ناوله الساعاتى ساعته وهو يقول له باسمًا:

ـ الساعة سليمة وليس بها عطب.

وضعها فى يده بصمت، ومضى ساهمًا. كان ينظر إلى مشاهد الحياة فى الشوارع بعدم اكتراث. البيوت لازالت كئيبة، والناس لا يزالون مجرد آلات تتحرك.

سأله أحد المارة:

ـ كم الساعة الآن؟

أجاب دون أن ينظر إلى ساعته:

ـ الثالثة تمامًا.

نظر إليه السائل فى ذهول، ثم ابتعد عنه مهرولاً.

لم يحك لأحد عن وجعه. كان يلتف بصمته، ويحاول أن يتوارى عن العيون حتى لا يلاحظ أحد شروخ روحه التى كانت تتسع وتتشعب بلا نهاية.

*

التعريف بالكاتب

- **خالد أحمد السروجى**
- ليسانس حقوق
- يعمل بالمحاماة
- مواليد ٢٣/٨/١٩٦٤ ـ الإسكندرية
- نشرت قصصه فى جرائد: أخبار الأدب، والأخبار، والأهرام المسائى، والمساء، والشعب، والوفد. ومجلات: إبداع، وأدب ونقد، والرافد، ومدى، والفيصل، والقصة، والثقافة الجديدة، والأدب الإسلامى. وعلى شبكة الإنترنت مواقع: القصة العربية، وأمواج، والذاكرة الثقافية.
- كتبت عنه دراسات بأقلام: أ. محمد محمود عبد الرازق، د. مجدى توفيق، د. غالى شكرى، د. هيثم الحاج على، د. السعيد الورقى، د. أيمن بكر، أ. عبد العال الحمامصى، أ. صبرى عبد الله قنديل.
- البريد الإلكترونى: aLsroGy 2002 @ yahoo.com

● صدر له:

١ ـ الصوت المعدنى، أقاصيص، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٤.

٢ ـ زهرة الدم، قصص، هيئة قصور الثقافة، ١٩٩٩.

٣ ـ طقوس الاحتضار، رواية، سلسلة كتابات جديدة ـ هيئة الكتاب ١٩٩٩.

٤ ـ الشطرنجى، رواية، سلسلة كتابات جديدة ـ هيئة الكتاب ٢٠٠٢.

٥ ـ ابتسامة الوجه الشاحبة، مجموعة قصصية، سلسلة إشراقات جديدة ـ هيئة الكتاب ٢٠٠٢.

٦ ـ كائنات ليل سرمدى، رواية، سلسلة أصوات أدبية ـ هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٣.

● قيد الإصدار:

ـ الشطرنجى، رواية، الجزء الثانى.

● صدر من هذه السلسلة

١ . ومازال الدم يبوح	شـعـــر	محمد فهمي سند
٢ . تيك أواي	قصص	حجاج حسن أدول
٣ . الحرب الثالثة	روايـــة	عبدالمنعم السلاب
٤ . أمواج في بحر الحروف	شـعـــر	فوزي خضر
٥ . بكائية للوطن والغربة	قصص	رأفت سليم
٦ . فنون الواو	دراســة	عبد الستار سليم
٧ . الزجاج المكسور	قصص	غبريال وهبة
٨ . شقة الهوى والهوان	روايـــة	إيهاب سلام
٩ . إسكندرية المهاجر	شـعـــر	أحمد فضل شبلول
١٠ . تغريبة الخواص	روايـــة	عبدالحميد الفداوي
١١ . ظل باب	قصص	أحمد محمد حميدة
١٢ . الخيول الشاردة	روايـــة	بهي الدين عوض

١٣ . طوفان النار	قـــصص	محمد حافظ صالح
١٤ . أيام زمان.. أين أنت	قـــصص	هشام قاسم
١٥ . على المواجع	شـــعــــر	علي السويدي
١٦ . حبيبتي والخيل والضفيرة	شـــعــــر	محمد صلاح الدين السعيد
١٧ . لو أنك ياحب تجيء	شـــعــــر	ناجي عبداللطيف
١٨ . انشطار التاج	مسرحية شعرية	محمد أحمد حمد
١٩ . احضنوا الشمس	مسرحيات	محمد كمال محمد
٢٠ . الفلاح الفصيح	مسرحيات	محمد نصر يس
٢١ . الأمل الخالد	مـسـرحـيـة	شوقي سعد لبيب
٢٢ . الأراجوز والقراقوش	مـسـرحـيـة	السيد حافظ
٢٣ . مختارات	شـــعــــر	جليلة رضا
٢٤ . قطار الساعة ١٢	قـــصص	السيد الشوربجي
٢٥ . وداع لم يتم	قـــصص	محمد صفوت
٢٦ . تل المعافرة	قـــصص	محمد شاكر الملط
٢٧ . عبور الميدان ظهرًا	روايـــــة	محمد سليمان
٢٨ . كف مريم	قـــصص	سعيد سالم
٢٩ . الأمل وأحلام النورس	شـــعــــر	يس الفيل

٣٠ . لسه الأغاني ممكنة	شـــعـــر	كوثر مصطفى
٣١ . عثرات الفرس الأهوج	شـــعـــر	عادل عزت
٣٢ . حصان الليل	روايـــــة	علي عيد
٣٣ . أعناق الورد	قـــصص	عزة بدر
٣٤ . جهاز ط.ح.أ	قـــصص	كوثر عبدالدايم
٣٥ . عائلة صابر عبدالصبور	روايـــــة	محمد القصبي
٣٦ . أغلى حب	شـــعـــر	فاطمة الحفني
٣٧ . سراية أفندينا	مسـرحيـة	سعيد عرفة
٣٨ . العتبات الضيقة	روايـــــة	السيد نجم
٣٩ . أغنيات من زمن الخوف	شـــعـــر	إبراهيم صالح
٤٠ . التوأم الشريد	روايـــــة	عبدالله الجنايني
٤١ . انتفاضة شعب	شـــعـــر	مجموعة شعراء
٤٢ . الرعية	شـــعـــر	صلاح والي
٤٣ . وردة في عروة القدس	شـــعـــر	جميل عبدالرحمن
٤٤ . جبل الأولياء	روايـــــة	محمد محمود عبدالرازق
٤٥ . المسـرح الشـعـرى بين شوقى وأباظة	دراســـــة	كمال نشأت

٤٦ . **انتصاف ليل مدينة**	قــصص	سمير الفيل
٤٧ . **كاس ودموع**	شــعــر	نجوى السيد
٤٨ . **البحث عن لميس**	قــصص	محمود حنفي كساب
٤٩ . **عازف الأرغن**	شــعــر	عبدالشافي داود
٥٠ . **غناء الأشياء**	شــعــر	حسين علي محمد
٥١ . **صلاح الشرنوبى (حياته وشعره)**	دراســة	مصطفى عبدالشافي
٥٢ . **يسقط يعيش**	مــســرح	أحمد حسن شبرية
٥٣ . **الوشم بالكلمات**	مــســرح	أمين بكير
٥٤ . **أصل وعفريت**	قــصص	رجب حسن
٥٥ . **المحبون**	روايــة	جمعة محمد جمعة
٥٦ . **رؤى نقدية**	نقــد	هدى العجيمي
٥٧ . **حجاكم الله**	روايــة	محمد الناصر
٥٨ . **غناء الهجر**	شــعــر	عزت الطيري
٥٩ . **دماء الأميرة**	روايــة	عماد الدين عيسى
٦٠ . **أحزان بلدنا**	روايــة	مكرم فهيم
٦١ . **حبات كاليزما**	قــصص	سناء محمد فرج

٦٢. عيار طائش	شـــعـــر	عصام الزهيري
٦٣. وجوه	روايـــــة	مصطفى نصر
٦٤. النسمة العائدة	شـــعـــر	محمد حسن داود
٦٥. ظلال في الظهيرة	قـــصص	مصطفى الأسمر
٦٦. كنوز شمائل	قـــصص	عصام الصاوي
٦٧. الفلنكات	قـــصص	محمد عبدالحافظ
٦٨. في هواها كان عمري	شـــعـــر	محمد علي عبدالعال
٦٩. جوع القلب	روايـــــة	محمد الجمل
٧٠. قراءة في اتجاهات الرواية الحديثة	دراســـة	محمد أحمد شومان
٧١. ولا حاجة	روايـــــة	وفاء المصري
٧٢. تحت السور	قـــصص	سعيد بكر
٧٣. انعطاف النهر	قـــصص	عبدالفتاح مرسي
٧٤. شبابيك مقفولة	شـــعـــر	ليلى محمد علي
٧٥. الهجرة إلى الأعماق	روايـــــة	سعاد شلش
٧٦. عصا أبنوس ذات مقبض ذهب	روايـــــة	محمد عبدالله الهادي

٧٧. عيون على الخط	روايـــــة	فوزي وهبة
٧٨. إشراقات الحب والغضب	قـــصص	محمد جابر غريب
٧٩. الحنان السري	قـــصص	خالد السروجي
٨٠. إلا..	شــعــــر	فاروق خلف
٨١. عزف.. لا يطرب النساء	شــعــــر	سامية عبدالسلام
٨٢. القارعات	قـــصص	سعد القليعي
٨٣. خلاخيل العابرة	شــعــــر	السماح عبدالله
٨٤. إنترنت	شــعــــر	سعدني السلاموني
٨٥. نمل الرَّصيف	شــعــــر	محمد صابر مرسي
٨٦. عنبر ٨	روايـــــة	محمد الشريف
٨٧. قال	روايـــــة	فوزية حسن
٨٨. الشعر وأنا	شــعــــر	شريفة فتحي

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٨٢/٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9488 - 3